المكتبة الثقافية
٦٧

عالم الطير في مصر

أحمد محمد عبد الخالق

وزارة
الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة
المصرية
العامة
للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر

١٥ أغسطس ١٩٦٢

المكتبة الثقافية

- أول مجموعة من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة .
- تيسر لكل قارىء ان يقيم فى بيته مكتبة جامعة تحوى جميع الوان المعرفة باقلام اساتذة متخصصين وبقرشين لكل كتاب .
- تصدر مرتين كل شهر . فى اوله وفى منتصفه

الكتاب القادم

قصة كوكب

الدكتور محمد يوسف حسن

أول سبتمبر ١٩٦٢

دار القلم بالقاهرة

الثمن ٢ قرش

المكتبة الثقافية

٦٧

عالم الطير في مصر

أحمد محمد عبد الخالق

وزارة
الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة
المصرية
العامة
للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر

١٥ أغسطس ١٩٦٢

الناشر

دار القلم

١٨ شارع سوق التوفيقية بالقاهرة

ت ٥٥٠٣٢ — ٧٧٧٤١

مقدمة

الطيور من الحيوانات الفقارية ذوات الدم الحار ، أجسامها مغطاة بالريش ، ومركبة من رأس وعنق وجذع وطرفين ، وينتهى الجذع بذيل قصير بحيث يشبه الجسم القارب فى شكله الخارجى العام ، رأسها صغير الحجم بالنسبة للجسم ، وذلك راجع إلى ضرورة توافر توازن لين الجناحين فى انبساطهما أثناء الطيران ، والفم كائن فى مقدمة الرأس ، وينتهى بمنقار قرنى صلب ، يقاس عادة من الطرف إلى قاعدة الجبهة لمعرفة الصنف والنوع ، وفيه عند التقائه بريش الرأس جزء رخو يعرف بالقيرو ، ويعتبر الجزء الحساس من المنقار ، وهو فى الحمام أكثر ظهوراً مما فى غيره ، وبالمنقار فتحتان تختلفان شكلا باختلاف نوع الطائر ، وعند مؤخرة المنقار أى فى زاوية الفم ريشات صلبة مدببة تعرف بالأهلاب ، وخلف الجبهة تقع القنة وهى أعلى جزء فى الرأس وعلى جانبيها العينان وهما كبيرتان نوعا ، وخلف كل منهما فتحة الأذن الخارجية .

ويلي الرأس القفا فالعنق فالظهر فالعجز فالذيل ، ومن أسفل خلف الحلق يوجد الصدر فالبطن فالمخرج — وبأعلى الذيل غدة كمثرية الشكل ، تعرف بالغدة الزيتية ، تفرز سائلا زيتيا يستخدمه الطائر في تنظيف ريشه من الأدران . وبأصابع اليد ، وكلها مغطاة بالريش ، زوائد قرنية هي الأظافر ، في حين تنتهي أصابع القدم بمخالب كبيرة . وفي الطرف الأسفل تبدو القصبة والرسغ فالحراشف . ويتكون الجناح من ريش القوادم ، وهي المتصلة بأصابع اليد ، ثم الخوافي ، وهي المتصلة بعظام الساعد . ويتصل بالكتف الريش الكتفي ، وبالأبط الريش الابطي ، ويغطي ريش الجناح مجموعتان من الريش الصغير ، ويغطي ريش الذيل مجموعتان أخريان . وريش الطائر يتساقط كل عام ليحل محله ريش غيره ، وذلك قبيل فصل التزاوج ، وهو لا يتساقط دفعة واحدة بل اثنتين اثنتين . وفرخ الطير عندما يفقس من البيضة يرى مغطى بريش ناعم كالزغب سرعان ما يستبدل به ريش أكثر صلابة وأخشن ملمسا .

وقد اختلف علماء الطير فيما إذا كانت هذه المخلوقات قد وجدت منذ قديم الزمان ، بل لعل مشكلة وجود سلسلة متصلة الحلقات من الكائنات قد توصلنا إلى الوقوف على زمن

نشأة الطير هي من المسائل التى لم يتوصلوا بعد إلى حلها ، فقد وقف بهم البحث عند القول بأن ظهورها جاء فجائيا دون تسلسل ، وإن جاء العالم الألمانى أندريا فاجنر[1] ، ومن بعده العلامة مارش[2] ، الأول بهيكل عظمى لمخلوق يشبه الغراب ، والثانى بهيكل آخر لطائر ضعيف الجناحين مهضومهما بدعوى أن فى هذا الأخير ما يثبت أنه كان يغوص فى الماء بحثا عن سمكة يتبلغ بها ، وأن الهيكل العظمى للأول والثانى فيهما الحلقة المفقودة التى أعيا العلماء البحث عنها .

والطيران فى الطيور عملية من أغرب العمليات ، وهى على ثلاث مراحل ، الأولى وتعرف بالانزلاق يبسط الطير فيها جناحيه دون أن يحركهما ، والثانية وهى الدفيف يضرب فيها بجناحيه رفعاً وخفضا ضربات متتابعة — وأخيرا طيران الصف ويأتيه الطير بجناحين منبسطين فلا يحركهما ، وهى درجة من التحليق لايستطيعها إلا بعض الطيور ، كالعقاب والنسر والحدأة المصرية والنورس وماشا كلها . وتخضع الطيور فى قوة طيرانها وضعفها لشكل جناحيها وقوة عضلاتها الصدرية ، والنسبة بين ثقل

---

(١) Andrea Wagner (٢) Msrsh

الجسم ومساحة الجناحين ، على أن للذيل مهمة أخرى هى تغيير الاتجاه حسب رغبة الطير ووجهته ، وظاهرة الطيران هذه بمراحلها الثلاث هى من أعجب الظواهر الطبيعيـة ، بسبب صعوبة القيام بها وتفسيرها تفسيرا قاطعاً علمياً مانعاً ، بل لعلها من المسائل الأخرى التى واجهت علماء الطير دون أن يستطيعوا حلها .

والطيور تنقسم إلى ثلاثة أقسام كبيرة هى : النعاميات ، وأفرادها تتميز بأن ريشها غير متماسك فليس لها إلى الطيران سبيل ، وأنها كبيرة الحجم بالنسبة لغيرها من عالم الطير ، ثم المسننات ، وتحتوى على عدد قليلا من الأجناس البائدة ، وتمتاز بأن لها أسنانا وليست لديها القدرة على الطيران كالقسم السابق ، وأخيرا الزورقيات . وتشمل باقى أنواع الطير وهى على فصائل كما سنرى .

والطيور كافة تتأثر بحرارة القيظ وصبارة البرد مثل كافة الكائنات الحية الأخرى ، فإذا أقبل الربيع دبت فيها حياة جديدة مليئة بالحركة ، تبعث فى جوانح شبابها العاطفة والحب ، وتقارض التشبيب والغزل والاندفاع نحو التزاوج وإنجاب البنين ، فترى فى كل مكان طروبة جذلة ، تنشط فى جولات قصار متسمة بالغزل تارة والتطريب طورا ، لكى يأنس الأليف

إلى أليفه والزوجة إلى زوجها ، ثم يعمد الاثنان توا إلى بناء مثوى لهما بعد أن يزيناه ويقويا من جدرانه ، استعدادا لتلقى أفراخهما الزغب التى يتعهدانها بالدفء والغذاء والتنشئة الحسنة ، ليفعل بها الربيع التالى مثل مافعله بوالديها ربيع اليوم .

ولعل من أعجب وأشهر ما اتصفت به الطيور إرسالها النغم العذب ، والتصديح الذى يأخذ بمجامع القلوب ، وتلك الموسيقى الرقيقة مما ضرب الناس به الأمثال ، وأشادوا به فى نثرهم ونظمهم وأغانيهم . هذا فضلا عن جمال منظرها ، وروائع تلوينها ، ودقة أجرامها ، وفضلا أيضاً عما يتخذه البعض منها ، من تجارة رابحة ، ودراسة نافعة كانت وما زالت موضع نشاط الكثير من الجماعات والجمعيات العلمية والثقافية التى تعنى بنشر هوايتها والإشادة بمحاسنها .

ولعل من تحصيل الحاصل القول بأن ذلك التطريب العذب الذى تصدح به الذكورة من الطير هو لاجتذاب الأنثى إليها ، وإعجابها بها . على أن من الطير مايرسل النغم طوال العام ، لا يصده البرد القارس ، ولا يثنيه الحر القائظ ، ومنها ماينقطع عنه فى غير أيام الربيع كأنه يشعر لانقضاء أيامه بحزن ممض ، وألم موجع .

ولكن لنعد ثانية إلى غريزة الغزل عند الطير فنقول :

إنها لازمة من لوازم أفراده ، يتودد بها الذكر إلى أنثاه ابتغاء اجتذابها إليه وإقبالها عليه ، وهذه الغريزة وإن تكن شائعة بين عالم الحيوان ، فهى فى حياة الطير خاصة أكثر ظهورا ، وأوضح أثرا ؛ إذ لولاها مااستطاع الذكر أن يقترب من أنثاه ، ولا أن يفوز بتسليم قيادتها إليه . ومن أسباب إقبالها عليه ، إعجابها بفنه إذ يتيه أمامها بفاتن هيئته وشجى نغماته ورائع ألوانه ؛ لذا كانت الذكورة أرشق قدا وأرق صوتا وأبدع لونا وأعذب نغما من الأنثى — ألسنا نشاهد أن الكثير من هذه الذكور تتوج رؤوسها قنازع[1] مرقشة[2] وأن الألوان الجذابة التى وصفها الكتاب والشعراء فأجادوا ، ورسمتها ريشة المصورين فأبدعوا ، هى مما يتمتع به الذكر دون الأنثى .

على أن غزل هذه المخلوقات هو على أضرب وفنون ، نذكر منها ما نشاهده كل يوم فى دنيا الدواجن ، إذ يختال الذكر أمام أنثاه وكأنه يدل بقوته ومتانة ساعده ويزهو بريشه اللامع وحسنه الخلاب ، وهو لا ينقطع عن اللف والدوران حولها ، ومد

---

(١) واحدها قنزعة وهى الجمة من الشعر فى مقدم الرأس .

(٢) مزخرفة .

جناحيه نحوها ، وقرع منقاره بمنقارها ؛ لكي تلين قناتها .

ولعل فيما يأتيه أفرخ هذه الأنواع من الرقص العنيف ، ومن وثوب ذكر الحمامة المطوقة(١) إلى رؤوس الأشجار وهبوطه ثانية فى سرعة مذهلة بجناحين ساكنين ، وما تفعله ذكران الطاووس(٢) من التيه والدل بجمال هيئتها ، ونشرها ريشات ذيلها فى شكل فنى رائع ، وما يقوم به الأرغوس(٣) من بسط ريشه ورفع ذيله ، ومن الرقص التوقيعى مع الإتيان بحركات أخرى راقصة برجليه تارة ورأسه طورا ، وهو ينشد بذلك لفت نظر أنثاه واستدرار عطفها عليه وبذل قلبها له ، ثم ما يدور بين الأبلق الأبيض(٤) وصاحبته من مناوشة تبدؤها الأنثى بوثوبها إلى رأس صخرة عالية ، ثم وقوفها هناك ساكنة ليلحق بها الذكر فى التو ماداً جناحيه إلى أسفل حتى يلمس الأرض ، ومطأطئا برأسه وفاحصا الأرض بمنقاره ، ومتمتما بصوت خفيض ، ثم يبدأ اللف والدوران حولها مرات عديدة ، وهنا تنقض عليه الأنثى فتضربه بمنقارها ، وتهرب لواذاً إلى صخرة أخرى فيتبعها ، ثم يرفع عقيرته بالتصديح والترنيم

---

(١) Ring Deve. (٢) Pheasant.
(٣) Argus Pheasant. (٤) White chat.

فى نبرات موسيقية رقيقة ، تستمع إليها الأنثى وهى ساكنة لا ترنم ، وقد خلا لهما الجو وابتعدا عن أعين الرقباء . وما يأتيه التفلاق(١) من الرقص العجيب الذى يهتاج له باقى الحاضرين، من التفالق ، فيندفعون من مكان إلى آخر ، يختلى فيه بعضهم إلى بعض ؛ مما ينهض دليلا على قوة غريزة الغزل عندها .
بل لعل الأدعى إلى العجب هو ما ينظمه بعض أنواع الطير مثل الزقزاق(٢) من إقامة الحفلات ، وتبادل الزيارات فى أيام الربيع على النحو الآتى : يبدأ واحد من الزوجين الشريكين بزيارة زوجين آخرين فى عشهما ، فيستقبله هذان استقبالا حافلا ، ثم يؤلف ثلاثتهم موكباً يتصدره الزائر ويسيرون بخطى متزنة وئيدة مرددين نغمات عالية كأنها قرع الطبول ، ثم يقفون فجأة ليرفع الزائر جناحيه ويصطف الاثنان وراءه ويلمسا الأرض بمنقاريهما كأنهما يقدمان فروض التحية والإجلال — ويظل الجميع على هذه الحال بضع دقائق ينفض الحفل على أثرها ، ويتجه الزائر إلى مثواه حيث أليفته لينتظرا زيارة فرد من جيرانهما ويقوما بنفس المراسم . والطيور فى غزلها وحياتها

---

(١) Water Rail.
(٢) Lapwing.

الزوجية شديدة الغيرة ، فيثور الزوج لتعرض أى ذكر لصاحبته ، وكثيرا ما يشتبك معه فى عراك دام إن لم يقلع المتطفل عن تطفله . وفى هذه الأثناء تظل الأنثى بمشهد منهما ، تلهب زوجها حماسا وتبعث الفضول فى المعتدى حتى يغلب على أمره .

فإذا انتهى طور الغزل شرع الزوجان فى بناء مثوى يضمهما وتضع فيه الأنثى بيضها ثم أخذت تحتضن بيضها إلى أن تحين ساعة التفقس وخروج الأفرخ — على أن الطيور ليست كلها قادرة على تكوين عشاش ثابتة الأركان ، تتوافر فيها الراحة والطمأنينة ، بل إن بينها تباينا كبيرا فى ذلك المضمار ، فمنها ما يضع البيض على الأرض دون غطاء أو وفاء ، ثم تأتى الأنثى فترقد عليه ، كما تفعل أنثى السيد(١) — ومنها ما يبنى أعشاشا هى آية فى المتانة والتناسق ، كالغربان والجوارح فإنها تستعمل لهذا الغرض سوق النباتات الجافة وأوراقها ، ثم تدس بينها خرقا وقصاصات من الورق الخفيف اللين الملمس ، بل إن منها مايستعمل مواد أدق حجما من دقاق العيدان وأطراف النبات والهشيم ، ثم تبطن العش بالطحالب وقطع القماش اللينة

(١) Nightjer طائر لا يطير إلا ليلا وهو أكبر من الخطاف (Teru) حجماً .

مثل طائرى الظالم[١] والحسون[٢] — ومنها ما يستعمل نديف القطن فى تبطين العش من الداخل ، مثل الطائر الطنان[٣] ، أو يبطنه بنشارة الخشب المتعفنة والروث الجاف بعد تنديته بقليل من لعابه لكى يبعث الدفء فى العش وتتماسك جدرانه كما تفعل السمامه[٤] . وهناك الكثير من الطيور التى تبنى أعشاشها ، ثم تشدها إلى حبل متين ، أو تلصقها إلى أصل فرع شجرة ، أو رأس صخرة مرتفعة مثل طير التنوط[٥] التى يصنعها على هيئة كيس من سعف النخل أو الدوم بصورة تبعث على الدهشة والإعجاب ، ثم يعلق العش بطرف حبل طويل جاعلا مدخله إلى أسفل حتى لا تستطيع الحيات والثعابين والهوام الفتك بفلذات أكبادها . وقد كان للمؤلف حظ مشاهدة عدد لا يحصى من هذه العشاش فى غير واحدة من غابات الطلح المنتشرة فى السودان أيام خدمته به ، بل لعل من أدعى هذه العشوش إلى

(١) Chaffiuch وهو عصفور حسن الصوت .

(٢) Goldfinch عصفور يعرف باسم أبى زرقابة .

(٣) Humming Bird وهو أصغر الطيور المعروفة حجماً وموطنه أمريكا .

(٤) Swift وهى الخطاف الجبلى أيضاً .

(٥) Weaver Bird.

الدهشة بيت الطائر الخياط[1] ، فإنه مع تعقد بنائه ودقة نسجه يعمد الطير إلى العريض من أوراق النبات فيثقبها فى عدة مواضع بالقرب من الحرف ، ثم يولج فى تلك الثقوب خيوطا من نسيج العناكب يشد بها الحرفين إلى بعضهما ، ومن ثم يحصل على تجويف يشبه القرطاس الذى يستعمله الباعة ، ثم يغلقه بندف القطن أو نحوه ، وفى نفس الوقت يثقب الورقة فى مواضع أخرى ، يضع فيها فتلات القطن ؛ لكى يجعل حرفى الورقة أكثر التصاقا وتماسكا ، وكما لو كان على علم بضعف خيط العنكبوت وتفاهته ؛ لذا نراه يدخل فى الثقوب الأولى فتلات من القطن كأنها سدى للنسيج ويشدها شدا محكما وليجعل من مثواه كتلة متماسكة محبوكة الأطراف ، بل من الطير من تبنى عشاشها جماعات مع المحافظة على استقلال كل فرد منها فى عشه لا يبغى واحد على الآخر . وغنى عن الذكر أن الطائر لا يستخدم سوى منقاره فى هذه العملية المعقدة المتعددة المراحل .

انظر (الشكل رقم ٣٢) .

أما البيض فليس ضربة لازب أن تكون أحجامه متناسبة

(١) Tailor Bird.

مع كبر حجم الطير وصغره . فطير الدج[١] مثلا فى حجم ما يعرف عندنا بالبكاسين[٢] ، ومع ذلك فإن البيض فى كل منهما مختلف عن الآخر اختلافا كبيرا ، كما أنه ليس ضروريا بحال أن يكون البيض على وجه العموم أبيض كالشحم كما يتبادر إلى الأذهان ، فهو وإن يكن أبيض فى الدجاج والأوز والحمام وغيرها ، فهو غير ذلك فى كثير من الأنواع الأخرى . إذ هو فى الشبنم[٣] أخضر اللون ، وفى الغراب بنى مائل إلى الكدرة ، ومع ذلك فاختلاف اللون لا يخلو من معنى ، وأنه ليس وليد الصدفة بحال ، بل إن للطائر منفعة فى ذلك تعادل ما يقوم به ذلك الكائن الحى من جهد فى إفراز المادة الصابغة ، فقد زعم بعض علماء الحيوان أن اللون إنما يجىء متسقا أو يكاد مع لون الوسط الطبيعى الذى ينتمى إليه . وبهذه المناسبة نشير إلى المساعى التى يبذلها مربو الدجاج ، بغية أن يكون كل بيض دجاجتهم إناثا ، إنهم لم يجدوا أمامهم ما يساعدهم بيولوجيا إلا اتباع القاعدة المعروفة من أن المبايض الكثيرة الغذاء تأتى أجنتها إناثا والعكس بالعكس ،

---

(١) Turdus طائر فى حجم الهدهد . وهو أنواع كثيرة .

(٢) Common Snipe ويعرف أيضاً بالشنقب المعتاد .

(٣) Cassowary وهو طائر يشبه النعامة موطنه استراليا .

وقد ادعى بعض هؤلاء العلماء أن التجارب أظهرتهم على أنه إذا كانت الدجاجات كبيرة الحجم والديوك صغيرته ، جاء أغلب الأفرخ إناثا .

ومن أعجب ما يلاحظ في هذا الباب أن كل إناث الطير تضع من البيض عددا بعينه في كل بطن — فبعضها يضع من ثلاث بيضات إلى خمس ، وبعضها الآخر من أربع إلى ست وهكذا ، غير أنك إذا رفعت من تحتها بعض بيضها ، وضعت هي سواها بدلا منها ، وهي قدرة عجيبة على الإنتاج عند الطلب ، أقل ما يقال فيها إنها لا يصدقها العقل . وقد ذكر بعضهم أنه أجرى تجربة علمية نشر نبأها في مجلة « ذي أوك » منذ عدة سنين مؤداها أنهم عمدوا إلى أنثى طائر يعرف بالنقار[1] ، فأخذوا من عشها كل بيضها إلا واحدة . وظلوا يكررون ذلك كل يوم ليروا إلى متى تظل تضع من البيض بدل ما سرق ، فوضعت الأنثى ٧١ بيضة في ٧٣ يوما .

ومدة الحضانة التي يمضيها الطير على البيض تختلف باختلاف النوع ، فالنعامة تقضي نحو ستين يوما ، والبطة نحو ثلاثين ، والدجاجة نحو عشرين ، والعصفور نحو اثني عشر يوما ، ويعزو

(١) Wood peeker وهو طير ينقر جذوع الشجر ويستخرج الحشرات المختبئة فيها .

بعض الباحثين هذا التفاوت إلى عامل نشاط الطائر وحيويته ، بسبب مايعروه فى أثناء الحضانة من الضعف و بلادة الحركة، ذلك بأن الطير يعيش عيشة كلها نشاط وتفجر ، كالذى نلمسه فى سجعها و نغمها من حرارة وقوة ، فدرجة أجسامها تتراوح بين ٤٠ و ٤٤ درجة مئوية ، وكل من راقب الطير من قريب لم يخطىء بصره أن يرى بدنه يهتز بسبب الخفقان الشديد الذى يحدثه نبض قلوبها .

ومع كل فقد تتأخر عملية الفقس عن ميعادها الطبيعى ، وعندئذ لا يتردد الطائر فى أن يستمر فى الحضانة حتى يفقس ، فإذا يئس من خصوبة البيضة فإنه يحطمها مرغما . والذى يقوم بالحضانة عادةهى الأنثى ، ومع ذلك فكثيرا مايتناوبها الزوجان ، بل إن فى بعض الأنواع تكون عملية الحضانة مقصورة على دون الزوجة .

ومنذ آلاف السنين لفت نظر الإنسان ظاهرة هجرة الطير من مكان إلى مكان ، حتى لقد وجد على أحد الآثار المصرية ما يفيد أن الكراكى(١) وصلت إلى أرض مصر فى ميعادها

(١) واحدها كركى Crare وهو طائر أغبر اللون أبتر الذنب طويل العنق والرجلين يعرف عندنا بالزهو ، وفى بعض التصانيف العربية بالغرنوق .

المحدد من كل سنة ، ولم تزل هذه الهجرة إحدى غرائب الطبيعة التى تخلب الألباب . ألسنا نشاهد بين الحين والحين جماعات كبيرة من الطير تطير فى السماء وقد نفرت من أوطانها لغير علة ظاهرة ، إلا أن يكون حلول البرد أو الحر فى فصولهما المعروفة ، وإلا أن تكون قلة الزاد فى مكان ووفرتها فى مكان آخر ، وإلا أن يكون ازدياد نسلها أحرجها حتى لم تجد مفرا من الهجرة إلى مكان آخر ، لعلها تجد فيه مرتعاً فسيحاً وعيشاً رغدا . وقد يكون غير هذا وذاك ، على أن المجمع عليه هو أن اختلاف المناخ صيفاً وشتاء على هـذه المخلوقات هو الذى يحفزها إلى الهجرة ، وقلة الكلأ وندرة المـاء يدفعان بعض الحيوانات إلى البحث عنهما فى غير مواطنها . والطير التى تهاجر من مواطنها تعرف بالقواطع ، وهى مثل السمانى(١) والوروار(٢) وهى تعود دائما هى ونسلها إلى مواطنها الأولى التى بدأت منها رحلتها . وليست تلك الظاهرة مطردة فى كل الأنواع ، ولكن هناك طيوراً لاتبرح مواطنها ، وتلك هى الطيور الأوابد أى غير

(١) Quail وهو السلوى من رتبة الدجاج يفد إلينا من شمال أوربا.

(٢) Liatle green Bee - Eater وهو طير طويل أخضر المنقار يضرب ماتحت عنقه إلى الصفرة .

المهاجرة مثل الغراب والحدأة وغيرها من الطيور المصرية .

أما شيخ الرحالة غير منازع فهو الخطاف القطبى [١] فهو مع صغر جرمه يقطع منطقة القطب الشمالى فى أمريكا عابرا شمال المحيط الأطلسى إلى أوربا ، ثم ينحدر مساحلا حتى يجتاز إفريقيا إلى المحيط فى منطقة القطب الجنوبى ، ثم يعود أدراجه إذا حل الربيع وقد قطع فى رحلته ٣٤٠٠٠ ميل .

وهنا لابد من ذكر شىء عن عادات الطير ، وإن يكن من العسير على باحث أيا كان أن يضع حدا فاصلا بينها و بين غرائزها فكلها ناشئة من طبيعة واحدة ، على أن من هذه العادات أو الغرائز ما يدعو إلى الدهشة والاستغراب . من ذلك تمييز الأم لصغارها التى تزقها لكى تقف على ما أخذ منها كفايته من الطعام ومالم يأخذ ، وقد تولت الطبيعة أمر حل هذا الإشكال بذلك النظام الدقيق الذى ركب فى حلقوم كل فرخ ، فهو إذا امتلأ أو كاد أبطأ فى ابتلاع ما يزق به ، فما على الأم عندئذ إلا أن تزق الذى يفتح لها منقاره كيفما اتفق ، ثم تراقب نتيجة ذلك بدقة ، فإن رأت أن الطعام لا ينزلق فى الحلقوم لساعته امتصته ثانية وزقت الذى يليه ، فالذى يبتلع الطعام من فوره هو أفرغها من الطعام

(١) Lithe Tern.

جوفا وأدعاها إلى الامتلاء . ومن ذلك أيضاً السبب فى عدم استرخاء قبضة الطائر من على الغصن أو القضيب الذى يجثم فوقه حين يغلبه النعاس . أما السبب فى ذلك فراجع إلى أن الأوتار التى تحدث البسط والقبض فى مخلب الطير تلتف حول مفصل ساقه ساعة ينام ، ويثنى ثقل جسمه وتشد الأوتار أصابعه والمخالب المتصلة بها لتشتد قبضته على غصن مجثمه وتظل تفعل ذلك تلقائيا ، ومن ذلك أن قوانص الطير هى له بمنزلة الأسنان من الحيوانات الأخرى ، وتنتقى الحصى ليساعدها على تفتيت الحبوب وتكسير حيوانات البحر ذات الأصداف وغيرها فتحيلها إلى رمل ناعم ، وذلك بمساعدة العصارات القوية التى تفرزها معداتها .

وتختلف الطيور فى طرق معيشتها ، فمنها ما ينشد طعامه فى ساعات النهار وهى الغالبة ، ومنها ما يبحث عنه ليلا كالبوم والسبد الذى تقدمت الإشارة إليه . والغراب أذكى الطيور وأوسعها حيلة ، فقد شوهد غراب فى إحدى قرى الإنجليز قد سرق كثيرا من حلى النساء ، وثم قصة معروفة متداولة هى : حين أراد غراب أن يستسقى من الجرة التى لا تحتوى إلا قليلا من الماء أخذ يرمى فيها بالحصى حتى ارتفع منسوبه وأصبح فى متناوله فكرع منه ما شاء — وغير هذا وذاك مما سوف نعرض له فى متن الكتاب بقدر ما يسمح به المجال .

رتب الطيور

من المعلوم أن الكائنات تنقسم إلى ثلاث ممالك رئيسية هى : الحيوان والنبات والجماد ، وأن مملكة الحيوان تنقسم بدورها إلى قبائل وطوائف ورتب وفصائل ، فضلا عن تفرعها إلى أقسام أخرى متداخلة لا يتسع المقام لذكرها . فالقبيلة هى الجماعة التى ينتمى أفرادها إلى أصل واحد ، والطائفة هى الجماعة من الأحياء فوق الرتبة ودون القبيلة ، والرتبة هى مجموعة الفصائل المتشابهة ، والفصيلة هى مجموعة من الأجناس يتشابه أفرادها فى خصائص مشتركة .

ولما كانت الطيور المصرية هى وحدها موضوع بحث هذا الكتاب ، فإن المقام يقتضينا أن نسهب بعض الشيء فى الإبانة عن الرتب والفصائل التى تنتظم هذه الكائنات الحية ؛ تمهيداً لشرح خصائص كل منها استيفاء للبحث والاستزادة من الفائدة . أما تلك الرتب فهى الغواصيات ، والأنفقنويات ، واللقلقيات ، والوزيات ، والصقريات ، والدجاجيات ، والكركيات ، والقطقاطيات ، والكوكيات ، والضوضؤيات ، ثم العصفوريات .

وكل واحدة من هذه المراتب تنطوى على فصائل تنتظم أفراد الطير موضوع هذه الرسالة .

فمن الغواصيات الطائر المعروف بالغواص أو الغطاس[1] ، وهو من طيور مصر الأوابد النادرة الظهور ، وإن قيل إنه يشاهد أحيانا فى الفيوم وبحيرات الدلتا ضمن جماعات صغيرة ، وقد ورد ذكره فى كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى بأنه من طيور جزيرة تنيس ببحيرة المنزلة ، وهو طائر مائى يجيد الغطس والهرب حاملا أفرخه تحت سطح الماء — وهو يعيش على صغار السمك والحشرات المائية . ومن أنواعه ما يعرف بالغواص الأسود والزهوت والغواص المتوج ، ويستعمل جلده فى صناعة الفراء .

ومن الأنفقنويات الطير المعروف بجلم[2] الماء ، وسمى بذلك ، لأنه فى أثناء طيرانه فوق سطح البحر يرى كما لو كان يجلم الماء ، أى يجزه جزا دون أن يحرك جناحيه تحريكا ظاهرا — ويعرف أيضا باسم طائر النوء ؛ لأنه يحلق فى أشد الأجواء هياجا ، وهو قل أن يقترب من اليابسة ، وموطنه البحر الأبيض المتوسط من جبل طارق حتى شواطىء الإقليم الشمالى من الجمهورية العربية

(١) Grebe

(٢) Shearwater

المتحدة — يرى بالقرب من دمياط ، وكثيرا ما يلجئه التعب إلى الاقتراب من أسطح الباخرة والحط عليها ، وأنثاه تضع بيضة واحدة كبيرة الحجم تتناوب هي وزوجها مهمة حضانتها حتى يحين موعد نقفها .

ومن اللقلقيات البجع[1] ، وهو منتشر في مصر وبخاصة في شهر نوفمبر في الفيوم ومنطقة قنال السويس وعلى ضفاف النيل ، وهو طائر كبير الحجم يعيش في جماعات ، له كيس كبير عند الحلق كأنه الحوصلة يخزن فيه كميات كبيرة من الغذاء الذى يتفنن في جمعه ؛ ولذا سمى بالحوصل ، ريشه أبيض مشوب بلون وردى خفيف ، ومنقاره أصفر يخالطه بقع زرقاء . وكيس الحلق والرسغ أصفران ، ومنه نوع يفد إلى مصر شتاء ، ويمتاز عن السابق بتقعر الجبهة ولون الريش المائل إلى البنى الداكن ، ومن أسمائه أيضا القوق وجمل الماء وجمل البحر وأبو جراب وأبو شنطة وأبو قربة . ومنه صنف أسود اللون كريه الرائحة بخلاف الأبيض . قال فيه الدميرى صاحب كتاب حياة الحيوان : إن جلده يصنع منه بعض الفراء ، ومن الطريف أن بعضهم قال فيه ملغزا :

---

(١) Pelican.

ما طائر في قلبه يلوح للناس عجب
منقاره في بطنه والعين منه في الذنب

إشارة إلى هيئته وهو واقف .

ومن أفراد هذه الرتبة أيضاً الطائر المعروف بالأطيش[١] ، وهو من الطيور المائية التي تستوطن شواطىء مصر ، وهو في حجم البطة ، أسود لون الرأس والعنق والظهر ، أبيضه عند الصدر والبطن وأسفل الذنب ، يشاهد بكثرة على شاطىء البحر الأحمر ويعيش على صغار السمك .

ومنها أيضاً قاق الماء[٢] وهو من الطيور البحرية أسود اللون طعامه السمك ، ومن أسمائه المألوفة غراب الماء ، وغراب البحر ، وهو زائر مقل ، لا يرى شتاء إلا نادرا وعلى الساحل الغربي من الإسكندرية . ومنها الطائر المعروف بمالك الحزين[٣] ، وهو من طيور الماء كذلك ، طويل العنق

---

(١) Booby سمى بالأطيش ، لما عرف عنه من الطيش وبلادة الطبع حتى ليشاهد على أسطح السفن والبواخر فلا يبرحها حتى يمسكوا به .

(٢) Cormorant.

(٣) Heron.

والساقين ، ومن طيور مصر الأوابد . ومنه السنجانى والأرجوانى والجبار وأبو قردان (١) وغراب الليل والأبيض اليقق (٢) ، وهذا النوع الأخير قل أن يرى فى مصر، أما السبب فى إطلاق اسم مالك الحزين عليه فهو أنه على مازعموا يقعد بالقرب من مياه الجداول والغدران وغيرها ، فإذا جفت أو غاضت استولى عليه الحزن وبقى يائساً كئيباً . وأبو قردان أحد بنى عمومة مالك الحزين وصديق الفلاح الحميم ، بسبب ولعه الشديد بالتقاط الديدان من المزروعات ،كان قد اختفى من البلاد بسبب اعتداء الأهلين المتوالى إلى أن صدر قانون سنة ١٩١٢ وبسط حمايته عليه ، بأن أنذر بالعقاب الرادع كل من يتصدى له بالأذى ، فعاد إلى الظهور والانتشار فى جميع أنحاء القطر حتى الواحات . وكثيراً مايخطىء البعض فيخلطون بين Heron و Jbis فيسمون هذا النوع بالاسم الأخير ، وهو خطأ لامبرر له ،كما سوف يجىء . أما غراب الليل ،(٣) فمن طيور مصر الأوابد أيضاً ، وهو ذو منقار أسود مائل إلى الخضرة .

---

(١) Buff-Backed heron.

(٢) الناصع البياض .

(٣) night Heron.

ومن اللقلقيات الطائر الذى يعرف بالعنز أو اللقلق الأبيض ،[1] وهو طير مائى طويل الساقين والعنق ، له منقار طويل معقوف كأنه المنجل ، ويتغذى على السمك والحشرات ويهاجر من الشمال جنوبا أيام الخريف ، ثم يعود إليه ثانية فى الربيع ، فهو من القواطع التى لا تتزاوج قط فى مصر . ومن فصيلة أبو منجل الناسك ، وكان كثير الانتشار فى مصر القديمة ، واشتهر فيها باسم أيبس ، وكان موضع التقديس من أهلها كما تنطق بذلك النقوش العديدة التى ما زالت تحلى جدران المقابر والمعابد المصرية . وثم من نفس النوع اللقلق الأسود الذى قل أن يشاهد فى مصر ، وأبو ملعقة وهو أبيض لون الريش ، وأبو منجل الأسود الذى ينتشر شتاء فى أنحاء الوادى وبخاصة ناحية وادى النطرون .

ومن هذه الرتبة أيضا الطير المعروف بالنحام[2] وهو طير مائى على هيئة الأوز ، يعيش على الحيوانات القشرية والرخوة ، وعلى النباتات المائية والطحالب ، وهو كثير الوجود فى بحيرات مريوط والمنزلة والبردويل وفى وادى النطرون وأنحاء الفيوم ، طويل العنق والساقين ، أعقف المنقار أسود طرف الجناحين

---

(١) Ibis.　　(٢) Flamingo.

وسائره وردى اللون ، وهو يعرف فى مصر باسم البشروش ، ومن السهل التعرف عليه من هيئة طيرانه ، إذ أنه يمتد برجليه إلى الخلف فى خط مستقيم وعنقه إلى الأمام على امتداد ذلك الخط .

ومرتبة الوزيات تشمل كل أنواع الأوز والبط ، وهى كثيرة معروفة ، وتمتاز بشكل منقارها وثقل حركتها — فمن الأول الوز الأبيض الجبهة (١) والوز الأربد (٢) والوز الأسود (٣) والوز المصرى ، ومن الثانى البلبول (٤) والحذف (٥) بأنواعه والبركه (٦) بضم الباء والسمارى (٧) ، وهناك الوز العراقى (٨) وهو شبيه بالوز غير أنه أطول منه عنقا .

ومن رتبة الصقريات الطيور الجوارح ، وهى لا تظهر إلا نهاراً مثل العقبان والصقور والنسور والحدآت وغيرها ، وتتميز بانعقاف أطراف مناقيرها وقوة إقدامها وشدة مخالبها التى تستعملها فى الفتك بفريستها ، فمنها الرخمة المصرية وهى

---

(١) White - fronted goose.
(٢) grey goose.
(٣) bean goose.
(٤) Pintail.
(٥) Teal.
(٦) Wild duck.
(٧) godwall.
(٨) Swan.

ما تعرف في كتب اللغة بالنسراء[1] الأنوق ، وهو طائر أبقع أي فيه سواد وبياض ، أصلع الرأس أصفر المنقار ، وكان قدماء المصريين يرمزون به على معنى الحنو والحنان .

ويقول الدميري : إن في الرخمة أربع خصال : أن تحضن بيضها وتحمي فراخها وتألف ولدها ولا تمكن نفسها إلا لزوجها. والنسر كما جاء في أقرب الموارد أفصح الطيور وأشهرها ، حاد البصر رفيع الطيران قوى الجناح شره نهم ، وجاء في المخصص أن الرخمة طائر ضخم أبيض يأكل الجيف ولا يصطاد لنفسه ، وهو وإن كان من سباع الطير فإنه ليس من عتاقها أي جوارحها ، يختار لعشاشه أطراف الجبال الشاهقة ومواضع الصدوع وخلف الصخور ، لكي يعز على الغير الوصول إلى بيضه وأفرخه ، ومن أنواعه النسر الأسود[2] ، وهو قليل الانتشار في مصر وإن كان من طيورها ، وذو الأذن[3] ، وهو أكثر هذه الأنواع انتشارا بها ، وذو الذقن[4] ، وهو أعظم الطيور الجوارح ويرى منتشرا في شبه جزيرة سيناء .

---

(١) Egyptian vulture· (٢) Hooded vultura·

(٣) Sociable vulture· (٤) King vulture·

وهناك العقاب[1] وهى من أعظم الجوارح بأسا وأقواها مخلبا ، ذات منسر قصير أعقف تصيد لنفسها ولا تقع على الجيف خلافا للنسر ، وهى على أنواع منها الرخماء[2] والمسيرة[3] والذهبية[4] وسيد العقبان[5] أو ملكها . فالرخماء هى أكثر هذه الأنواع انتشارا فى مصر ، وهى بنية اللون فى الجزء العلوى ، صهبائية فيما دون ذلك . والمسيرة من القواطع ، تهاجر إلى مصر فى شهر سبتمبر وما بعده حتى الشتاء ، وهى أشد الجوارح فتكا بالحمام والدواجن . أما الذهبية فهى أكبرها حجما ، تفتك بالحمل وتخطف الأطفال وتسكن الجبال المحيطة بحلوان والجبال المنبثة فى طور سينا ، وهى ذات ريش داكن فيما عدا القفا والقنة فلون ريشها فاتح ، وأما الساق فذهبية . أما الأخيرة فإنها فى جماع مظهرها تبدو كما لو كانت ملكا حقاً ، وإن كان يفرق من الحدأة والغراب ويتحاشاها لواذا ، وهى أيضاً من القواطع التى لا تزور مصر إلا فى أيام الشتاء ، تنشد الدفء وحرارة الشمس .

---

(1) Eagle.

(2) Bald-headed eagle.

(3) Booted eagle.

(4) Golden eagle.

(5) Imperial eagle.

وهناك أيضا ما يعرف بالعقاب المنسورية[1] ، وهي عقاب تألف البحر وتأكل السمك ، وتعرف عند العامة بالناسوري أو المنسوري ، وهي من الجوارح الأوابد ، ويكثر وجودها على شواطيء البحر الأحمر وفي الفيوم . بل هناك أيضا ما يعرف باسم كاسر العظام[2] وعقاب البحر[3] وهما من القواطع .

وعلى الرغم مما هو معروف من أمر النسر والعقاب ، فإننا ما زلنا نجد من الكتاب والمترجمين من يخلط بين هذا وذاك ، فيضفون إلى الأول نعوتا وأوصافا هي من صميم خلال الثاني فيقولون نسور الجو ؛ تنويها بقوة بعض الطيارين وجلدهم على الطيران ، والصحيح عقبانه — فقد ورد في كتب اللغة قولهم : أبصر من عقاب وأمنع من عقاب ، وكانت العقاب راية قريش وراية النبي صلى الله عليه وسلم ، كما كانت تنقش على بنود الفرس والرومان . فالعقاب هي : رمز القوة ومنعة الجانب والعزوف عن التهام الجيف ، وقد قال فيها أبو العلاء المعري :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا   فعاند من تطيق له عنادا

---

(1) Osprey.

(2) Lamlergeier.

(3) Sea eagle.

والعنقاء [1] لفظ كثيرا ما يطلقه العرب على العقاب فضلا عن دلالته على ذلك الطير الأسطورى الذى كان موضع أوهامهم وخرافاتهم ، وقال شوقى رحمه الله مشيداً ببطولة الرائد الأول للطيران فى مصر :

أعقاب فى سماء الجو لاح   أم سحاب فر من هوج الرياح

ومن أفراد هذه الرتبة أيضاً الصقر [2] وهو طائر من الجوارح مجدول البدن طويل الجناحين عارى الساقين حاد المخالب ومن جنسه اليؤيؤ [3]، وهو صقر جميل الهيئة صغير الجسم يفرخ فى أوساط آسيا ويشتو فى مصر والعراق ، ويعرف فيهما باسم صقر الجراد . ومنه أيضاً صقر الغزال [4] ، وهو الذى اشتهر فى المؤلفات العربية باسم الصقر . والشاهين [5] ، وهو طويل الجناحين أسود الرأس والذنب أبيض الصدر قصير الساقين والفخذين . والصقر الجراح ، وهو من القواطع يزور مصر شتاء ويهجرها صيفاً ، وهو على هيئة العقاب إلا أنه أقل حجما وأبطأ طيرانا وأوطأ فى الجو تحليقاً .وصقر الجراد الإفريقى [6]،

---

(١) Phoenix.
(٢) Falcon.
(٣) Merlin.
(٤) Saker faicon.
(٥) Royal falcon.
(٦) Iegged buzzard.

وهو من طيور مصر الأوابد بخلاف الصقر الحوام (١) ، فإنه من القواطع .

والصقور فى مجموعها سود العيون محددة الرؤوس طوال الأجنحة قصار الأرجل بخلاف أبناء عمومتها البزاة (٢) ، فهى صفر العيون مدورة الرؤوس قصار الأجنحة طوال الأرجل تقتنى لكى يصاد بها ، ومن جنسها الباشق والزرق الذى قال فيه أبو نواس ضمن أبيات :

كأن عينيه لحسن الحدقه نرجسة نابتة فى ورقه

وذلك لتألق عينيه الحمراوين ولمعان رجليه الصفراوين .

وهناك الحدأة السوداء ، وموطنها الأصلى أواسط أوربا وغربى آسيا والعراق ومشتاها أفريقيا وسواحل البحر الأبيض المتوسط عابرة مصر ، وهى تختلف عن الحدأة المصرية باسوداد منقارها ، وبريش رأسها الذى يضرب إلى اللون السنجابى. ومن جنسها الحدأة السوداء المصرية (٣) وهى أكثر طيور هذه الرتبة انتشاراً فى مصر ، فتشاهد فى كل مكان ما عدا السواحل والصحراء ، وهى من الطيور الأوابد تكاد لا ترى فى غير مصر

---

(١) Honey buzzard.   (٢) Goshawk.

(٣) Black kile

وتبنى عشها من عيدان النباتات التي تجمعها من هنا وهناك في مستهل الشتاء ، ثم تعمد إلى الخرق البالية وأوراق الصحف فتبطن العش بها ، وتضع نحو أربع بيضات تتناوب هي والذكر حضانتها ونقفها . ومنها الحدأة الحمراء (١) ، وموطنها الأصلي فلسطين ، وهي قل أن تشاهد في أنحاء مصر باستثناء سيناء والعريش ، فقد يشاهد فيهما بعض جموعها . والسقاوة (٢) وهي من أكثر الطيور انتشارا في الإقليم المصري وبخاصة في الصعيد حيث يأكلون لحمها ، وهي من الأوابد وتبنى عشها فوق رؤوس النخيل . ومن جنسها العوسق الأوربي (٣) ، وهو من القواطع التي تمر بنا شتاء .

ورتبة الدجاجيات كما لا يخفى تشمل أجناس الدجاج والتدرج والرومي والحجل والسماني وغيرها ، وتمتاز بأنها كبيرة الحجم نوعا ذات مناقير قصيرة ومخالب قوية مهيأة لفحص التراب واستخراج ما يصلح لغذائها من حبوب وحشرات وغيرها ، وذكورة هذه الفصيلة أكبر من إناثها حجما وأبدع ريشا وأزهى لونا — كما أنها شديدة المراس متوثبة

---

(١) Redkite.

(٢) Buggord

(٣) Europcon bcon buggard

للتحدى والعراك ، مزواجة لا تقتصر على واحدة من الإناث ، فيرى الواحد منها وقد سار فى إثره سرب من الإناث .

ولما كان جنسا الدجاج والرومى معروفين لا يجهل أمرهما أحد رأينا أن نتجاوز عن تعريف القارىء بأفراد كل منهما ، مكتفين بما يعلمه عنها وبما تزدان المكتبة العربية من المؤلفات والمراجع التى تتناول هذين الجنسين بالشرح والتفصيل .

فالتدرج[1] طائر رائع الجمال ، موطنه الأناضول والصين ، وهو كما يقول الدميرى فى حياة الحيوان : يسمن عند صفاء الهواء ، وهبوب ريح الشمال ، ويهزل عند كدورته وهبوب الجنوب ، يتخذ مثواه فى التراب اللين ويضع فيه البيض حتى لا يتعرض للآفات .

والحجل[2] أجناس كثيرة تعيش حيث يكثر القمح ، والمعروف منه فى مصر حجل المغرب ، وهو أحمر المنقار والرجلين موطنه الأصلى جزر الكنار وشمال إفريقيا ، والطرابلسى والمغربى[3] ، وهذا الأخير أصفر المنقار والرجلين موطنه مصر وجنوب فلسطين ، ويعرف فى العراق بالقبج .

(١) Pheasant.

(٢) Partridge.

(٣) Sand Partridge.

ومن جنسه الطيهوج(١) ، وهو حجل صغير يكثر فى الهند وفارس وهو شبيه بالحجل المعروف فى مصر ، ومنه أيضا الشنار السينائى وهو من طيور طور سينا الأوابد .

والسمانى(٢) وهو من القواطع ، يفد إلينا من أوربا فى سبتمبر وأكتوبر ويعود فى مارس وإبريل مارا بجميع أنحاء القطر ، وهو أيضا السلوى الذى أنزله الله تعالى على بنى إسرائيل أيام موسى عليه السلام ، من الطيور التى تصاد بالشباك عند وصوله متعبا منهوك القوى بعد رحلته الشاقة عبر البحر الأبيض ، وهو جيد اللحم يأوى إلى الحشائش والنباتات ثقيل الحركة .

وتنتظم رتبة الكركيات طائفة حافلة بالأنواع ، كالكركى والتفلق والمرعة والغر ودجاج الماء والحبارى وغيرها ، وأكثرها لا يعيش إلا بمقربة من الماء . فالكركي(٣) بضم الكاف طائر كبير الجرم أغبر اللون أبتر الذنب طويل العنق والرجلين ، وهو أنواع كثيرة يزور إقليمنا فى فصلى الربيع والخريف فيأتيها فى جماعات كبيرة فى خطين على شكل رقم ٧ ، ومنطقة بحيرة مريوط تكاد تكون الوحيدة التى يحط عندها ليقضى

---

(١) Sand Partridge.

(٢) Quail.

(٣) Grane.

أيام الشتاء ، ومن طباع هذا الطير التناصر على ما قاله الدميرى في موسوعته النفيسة التى تقدمت الإشارة إليها ، فهو فى أثناء طيرانه على النحو المتقدم يقدم على الجماعة واحدا منها كالرئيس لها تتبعه حينا ثم يخلفه آخر منها مقدما حتى يصير الذى كان مقدما آخرها جميعا ، وهو إذا كبر والداه عالهما وتعهدهما بالبر والغذاء.

وقد أشار إلى ذلك أبو الفتح كشاجم حين قال مخاطبا ابنه :

اتخذ فى خلة فى الكراكى   اتخذ فيك خلة الوطواط

فإن الوطواط يبر ولده فلا يتركه بمضيعة ، بل يحمله معه حيثما توجه . ومن أنواعه الكركى المتوج[1] والسنجابى[2] . وفى هى جملتها جميلة المنظر .

والكركى يعرف فى السودان باسم الغرنوق ، وقد عرفته مصر فى أيام الفراعنة ؛ فقد شوهد منقوشاً فى جماعات على هيكل الملكة حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشرة وقد شدت مناقيرها إلى أعناقها بالحبال منعاً لها من التقاط الحبوب ، ومن جنسه التفلق[3] وهو من طيور الماء . والمرعة[4] بضم

(١) Crested Grane.

(٢) Demoiselle Crane.

(٣) Water rail.

(٤) Crake.

الميم وهى بحجم السمانى . ودجاجة الماء(١) ، وهى من الطيور الأوابد فى مصر وديعة هادئة تعوم فى الماء وتغطس تحته وتبنى عشها بين أعشابه . ثم الغر(٢) وهو من القواطع يزور مصر شتاء ويباع مع مختلف أنواع البط ، لذيذ طعم اللحم يعم البحيرات والبرك الكبيرة ، ويبنى أعشاشه وسط أعشاب الماء النامية . ومنه أيضاً الغرفور(٣) ، وهو من الطيور النادرة فى مياه مصر قلما يظهر فيعيش مختبئا بين الأعشاب المائية وهو برنزى ضارب إلى الخضرة . ومن جنسه الفرخة السلطانية(٤) ، وكانت كثيرة الانتشار فيما مضى ، إلى أن أصبحت لاترى إلا نادرا فى أنحاء مريوط ، وهى من أجل الطيور خلقة وأبهاها هيئة ، كبيرة الحجم طيبة البيض وإن كان لحمها أقل جودة . والحبارى(٥) ، وهى من الطيور الأوابد فى العراق وجزيرة العرب تفد إلى مصر شتاء . ومن جنسها الحبارى العربية والمتوجة وغيرها .

أما رتبة القطقاطيات ، فمنها أبو الرؤوس الصغير(٦) وهو

---

(١) Water hen. (٢) Common Coot.
(٣) Gallinule. (٤) Parphyrio.
(٥) Hubara bustard.
(٦) Little winged plover.

طائر صغير يعيش بقرب الماء ، لونه من أعلى ضارب إلى السمرة ومن أسفل المنقار إلى البياض ، وهو من القواطع فلا يزورنا إلا شتاء. ومنه أبو الرؤوس الإسكندرى[1] ، وهو من الأوابد يبنى أفحوصه على الشاطىء ، وقل أن يبطنه بالعشب أو نحوه. ثم القطقاط[2] ، ومن أسمائه السقساق والزقزاق وطير التمساح ، وهو على هيئة الحمام ، قال فيه هيرودوتس إنه يدخل فم التمساح وينقبه مما فيه من الدود ثم يخرج دون أن يصيبه أذى ، أما السبب فى ذلك فهو أن فى جناحيه شوكتين هما سلاحه إذا أطبق عليه التمساح فمه وخزه بهما . ومن جنسه قطقاط الرمل الكبير ، والقطقاط الذهبى والرمادى ، والزقزاق الشامى والزقزاق البلدى . ومن نفس الرتبة قنبرة[3] المـاء ، وهى مهاجرة تزور مصر خريفا . ومثلها الدريجة[4] ، وهى صغيرة الجسم على خلقة القطا ، وهى من الطيور المهاجرة فلا ترى إلا فى الخريف والربيع . ثم القطيرة[5] ، وهى من طيور الماء الأليفة تعيش بالقرب من البرك والمستنقعات . والمدروان[6] ، وهو طير مائى

---

(١) Kentish plover.

(٢) Spur winged plover.

(٣) Turnstone.

(٤) Calidris.

(٥) Little stint.

(٦) Sanderling.

يمر بمصر فى أيام الربيع والخريف فى جماعات كبيرة والطيطوى[٦] ومنه الأحمر والأدكن والأرقط والأخضر الساق ، وكلاهما مما يفد إلينا شتاء . ثم الشنقب[٧] بضم الشين ويعرف عندنا بالبكاسين . ويرى فى مصر شتاء فى جماعات غفيرة ، ولحمه من أجود اللحوم طعما . ومن جنســه الشنقب الكبير والشنقب الصغير والشنقب المرقش . ودجاجة[١] الأرض ، وتفد إلى هذا الإقليم شتاء ، وهى تنام نهارا لتسعى ليلا بحثا عن طعامها الأثير من الديدان ، ثم البقويقة[٢] ، وهى من القواطع أيضا تشاهد عندنا شتاء . ومن طيور الإقليم الجنوبى الأوابد كروان الغيط[٣] والكروان الجبلى ، وكلاهما أصغر من الكروان الصحراوى[٤] الذى لا يمر يوم إلا ونسمع صياحه العالى بعد الغروب ، والكروان طويل الساقين والعنق جاحظ العينين أصغرها . ومن جنسه الكروان السنجابى ، وهو أيضا من طيور مصر الأوابد غير أنه أصغر من سابقه حجما .

ومن القطقاطيات النورس[٥] ، أى زجج الماء ، وهو طائر

---

(١) Radshank. (٢) Snipe.

(٣) Woodoock. (٤) Goduit.

(٥) Common curlew. (٦) Stone curlew.

(٧) Gull.

فى حجم الحمام أو أكبر قليلا ، يرتفع فى الجو ثم ينقض فجأة على فريسته فى الماء ليختطف منه السمك طعامه الوحيد ، وهو من طيور مصر الأوابد فيشاهد بكثرة على سواحل البحر الأحمر ، أسود الرأس والظهر بنى الجناحين أبيض الذيل سنجابى الصدر . ومن جنسه النورس الزرقي والأسكنديناوى والسويدى ، وكلها من القواطع التى لا تظهر فى مصر إلا شتاء . ومن جنسه أيضا الكركر[1] وخطاف البحر[2] ، وكلاهما شبيه بالنورس وكثيرا ما يلتبسان به . ومن نفس الجنس الخرشنة السريع والخرشنة المتوج وأبو بطن ، وكلها سريعة الطيران ، ويتميز الأول بلون قدميه الأحمر المرجانى ومنقاره البرتقالى .

ومن القطقاطيات أيضا القطا[3] ، وهى طيور كالحمام تقيم فى السهول سريعة الطيران ، تقطع المسافات البعيدة فى طلب الماء والطعام ، وهى تبنى أفحوصها على الأرض ، كما أنها من طيور مصر الأوابد منتشرة فى صحاريها ووديانها ، ويصطنع أهل الواحات شباكا خاصة لصيدها . ومن جنسها القطا المتوج الفلسطينى ، والقطا الطويل الذنب .

---

(١) Geager. (٢) Tern.

(٣) Sandgrause.

ومن نفس الرتبة أيضا الحمام[1] بأصنافه ، وهى كثيرة ليس هذا مجالها ، ومنها اليمام والقمرى ، وكلها معروفة لاداعى للإفاضة فيها . ومنها أيضا الوقواق[2] ، وهو من طيور مصر الأوابد أسود لون الرأس أخضر الظهر بنى الذيل أحمر الجناحين.

ومنها الببغاء ، وهو الدرة[3] ، وهى من الطيور التى لم تعرفها مصر إلا منذ سنة ١٩١٢ ، ومن ثم استوطنت بها وأصبحت تعد من طيورها أو تكاد ، وجميع ريشها أخضر فاقع وبرقبتها طوق رفيع وردى اللون ، وقد قال فيها الدميرى : إن الدرة تطلق عند العامة على الببغاء الذى نعلمه النطق فيأتى بالعجب العجاب ، والببغاء على أنواع كثيرة موطنها جميعا البلاد الحارة ، وتمتاز بمناقيرها الكبيرة وألسنتها السميكة المدببة ، وتلك هى آلاتها فى لوك بعض الكلمات والجمل ومحاكاة بعض الأصوات كالضحك والتثاؤب والسعال ، ومع ذلك، فإن أصواتها غليظة لا عذوبة فيها ، وتمتاز أيضا بالذكاء وسهولة التدجين والطاعة ، وهى تعيش عادة فى جماعات ، وتتغذى على الفاكهة وقل أن تأكل الحشرات أو شيئا من اللحوم ، وقد ذكر بعض العلماء

(١) Dove.

(٢) Cuckos.

(٣) Parrot.

أن فصيلة الببغاوات تحتوى على أكثر من مائتى نوع ، أشهرها الببغاء الأربد المعروف بالجاكوه ذو الذنابى الحمراء والعينين الذهبيتين والمنقار الأسود ، وأكبرهذه الأنواع حجما هو المعروف بالماكاو أو الكوكاتو ، وموطنه الأصلى جزر الأنتيل وطوله نحو المتر ، وهو وإن كان بطيئا فى تعلم الكلام إلا أنه متوقد الذهن جم الذكاء يعبر عن مشاعره بالتودد والملاطفة ، أما النوع المعروف بالبرازيلى فلا يزيد طوله على خمسة عشر سنتيمترا ، ولونه أخضر مشوب بالزرقة المنتشرة على كل من الظهر والجناحين .

ومن هذه الرتبة أيضا الطائر المعروف بالضؤضؤ[1] أوالغراب الزيتونى أوالشقراق ، وموطنه الهند والعراق وجزيرة العرب . ومن جنسه الشقراق الحبشى ، وهو من الأوابد فى وادى حلفا . ومن نفس الرتبة الطائر المعروف بطير السمك أو القرلى[2] ، وهومن أوابد مصريحط على شواطىء القنوات باحثا عن السمك طعامه الأثير ، وهو طويل المنقار أسوده قصير الرجلين أسودهما أبيض الصدر مرقط الظهر والذنابى — ومنها أيضا الورور[3]

(١) Roller.

(٢) Pied Kingfisher.

(٣) Bee - eater.

وهو من القواطع يمر بمصر فى الربيع والخريف ولونه تغلب فيه الخضرة ، وهو قصير الرجلين طويل المنقار أسوده ، وهو أنواع كثيرة منها الورواز العراقى والورواز المصرى[1] والورواز السودانى ، تحبه العرب وتتيمن به . ومنها الهدهد الكبير[2] ، وهو من الأوابد فوق قنته قنزعة عليها خطوط عرضية سوداء ويكنى بأبى الأخبار . ومنها البومة[3] ، وهى من كواسر الليل تظهر فى أيام الربيع . ومن جنسها المخططة والهامة والمصاصة[4] ، وهى من طيور مصر الأوابد . ثم البعفة والصدى والبومة الأذناء والصمعاء وأم قويق[5] ، وهى من الأوابد وتعيش على الطيور الصغيرة والفراشات والحيوانات الثديية الصغيرة والسحالى ، ونعيب البوم جميعا ، يتطير منه ويؤخذ على أنه نذير شر والعياذ بالله ، ولعل ذلك راجع إلى سكناها الأماكن الخربة المهجورة .

ومن نفس الرتبة الطائر المعروف بالسيد المصرى[6] ، وهو من طيور مصر الأوابد ويعرف بأبى النوم ، يطير فى الغسق

(١) Little gresa bee - eater.
(٢) Hoopoe.
(٣) Owl.
(٤) Barn owl.
(٥) Little owl.
(٦) Nightjar.

أو ليلا ، أغبر الريش أو مخططه مسرول الساقين مفلطح الرأس والمنقار ، ومن أسمائه الضوع وهو كالبومة قال فيه الأعشى يصف فلاة :

لا يسمع المرء فيها ما يؤنسه بالليل إلا نئيم البوم والضوعا

ومن جنسه السَّبَد الصحراوى والسبد الأوربى . ومن نفس الرتبة السمامة[1] ، وتعرف أيضا بالخطاف الجبلى ، وهى من الأوابد سريعة الطيران ، وتطير فى جماعات كبيرة طيرانا متموجا سريعا وتعيش على الحشرات . وهناك أيضا اللواء[2] ، وهو من القواطع يلوى برأسه طويل الرجلين أدهس اللون هزيل الجسم .

(١) Swift.

(٢) Wryneck.

العصفوريات والطيور المغردة

الآن وقد انتهينا من هذا العرض الخاطف الذى تناول أكثر رتب الطيور ، بقى علينا أن نلم إلماما بالرتبة الباقية من ذلك العالم الزاخر بالحيوية والنشاط ، وأعنى بها رتبة العصفوريات أو الجواثم أو الطيور المغردة كما يطلق عليها أحيانا ، وهذه الرتبة تشمل فصائل عديدة ، منها العنادل والكنار والبلابل والغربان والقنابر والعصافير وغيرها ، وعدد أفرادها وحدها يربو على أفراد الرتب المتقدمة مجتمعة ، ولمصر منها نصيب كبير منها ، كما أن عددا غفيرا من الباقى يفد إليها ليمضى بها أيام الشتاء أو الصيف .

وأهم أجناس فصيلة العنادل هو العندليب(١) ، ومن أسمائه الهزار ، وهو بين أوربى وأسيوى وإفريقى ، وكلها موجودة فى مصر وسوريا . ومما يذكر أن الكتب العربية لا تفرق بين الهزار وابن عمه البلبل فتصفهما وصفا مضطربا جدا ، من ذلك أن البلبل والعندليب فى نظر بعضها هو الهزار

---

(١) Thrush nightingale.

بعينه ، بل لعلهم كانوا يريدون بالبلبل والعندليب كل طائر حسن الصوت ، وأغلب المعاجم تترجم Nightingale الإنجليزية و Roasignol الفرنسية بالبلبل وهو خطأ محض . ومن الأوهام الماثلة أن الهزار لا وجود له فى الشرق ، والحقيقة أن العلامة ترسترام صاحب موسوعة طيور مصر وفلسطين قال : إن الهزار معروف فى كل من مصر والشام و بلاد إيران . وإليك بعض ما ورد فى الكتب العربية خاصا بالبلبل والهزار ، فقد جاء فى لسان العرب أن البلبل يعندل أى يصوت ، والعندليب طائر أصغر من العصفور ، وقال ابن الأعرابى هو البلبل . وقال الجوهرى هو الهزار ، وقال الليث هو طائر يصوت ألوانا وأنشد :

والعندليب إذا زقا فى جنة
خير وأحسن من زقاء الدخل(١)

وقال القزوينى إنه طائر صغير الجثة سريع الحركة فصيح اللسان كثير الألحان ، يسكن البساتين وله مغنى ويوجد أيام الورد . (وهذه صفة الطائر الهزار Nightingale) . ويقول المخصص البلبل طائر حسن الصوت يألف الحرم ، ويدعوه

Spectacled Warbler. (١)

أهل الحجاز النغر بضم النون ، ويقول الدميرى النغر طير كالعصافير حمر المناقير والجمع نغران . . . وأهل المدينة يسمونه البلبل والهزار العندليب ، قال الشاعر :

كالصعو(١) يرتع فى الرياض وإنما
حبس الهــزار لأنه يتــكلم

ومما تقدم يتضح ، أن العرب أطلقوا اسم البلبل على كثير من الطيور الحسنة الصوت ، ومنها الهزار وأبو هرون ، وأن اللبس الذى وقع فيه المحدثون ناشئ من هذا الخلط ، والصواب هو أن البلبل وهو طائر أسود اللون ضارب إلى الحمرة حسن الصوت يقابله فى الإنجليزية لفظة bulbul ، وأن من جنسه البلبل المصرى وهو من الطيور المقيمة فى مصر ومن أرخمها صوتا ، وهو يعم الحدائق والمناطق المزروعة ، ويتغذى على الثمار والفاكهة ويبنى عشه فى أعلى الأشجار . ومنه أيضا البلبل السورى ، وهو كالمصرى ، ويوجد أيضا فى شبه جزيرة سيناء ، ومن مرادفاتها لفظ العندليب .

ومن الكناريات الطائر المعروف بالنغر(٢) بضم النون المتقدم

---

(١) Fire - Cnested Wren

(٢) Serin

ذكره ، ويعرف أيضا بالنعار أى الصياح ، وهو طير حسن الصوت ، ومن جنسه عصفور الكنار[١] والنغر الأوربى والنغر الشامى ، والأول موطنه جزر الكنار وهى الخالدات .

ومن الخطاطيف ما يفد إلى مصر ربيعا وخريفا واحدها خطاف[٢] ، وهو طائر يصيد الحشرات التى يلتقطها فى أثناء الطيران ، ومن أهم مميزاته ذيله المشقوق ولونه الداكن ، ومن أسمائه السمامة بالفتح ، ومن جنسه الطائر المعروف باسم عصفور الجنة[٣] ، وهو من طيور مصر الأوابد يشبه الخطاف فى شكله العام ، ويبنى عشه من الطين ، ومن أسمائه السنونو وروار الهند ، ومن جنسه السنونو الباهت ، وهو من الطيور الأوابد يعيش فى وادى النيل والواحات الخارجة والداخلة ومنطقة الفيوم والبحر الأحمر ، ومن جنسه أيضا خطاف الشواهق وخطاف الشواطىء وسنونو البحر الأحمر .

ومن الغرابيات الغراب النوحى[٤] أو الأسحم ، وهو من طيور مصر الأوابد ، يقيم فى صحاريها ، ولا يغشى منطقة

(١) Canary
(٢) Swift.
(٣) Swallow - Parodise Bird.
(٤) Raven Crow.

البحر الأبيض وإن كان يرتاد سواحل البحر الأحمر ، ومن جنسه الغراب أبو برنس وهو لا يلج الصحراء قط ، والأغرب أن الجنسين قد يلتقيان عند الحدود التى تفصل الصحراء من الوادى ، ومع ذلك فلا يعتدى أحدهما على منطقة نفوذ الآخر ، والغراب الأسحم يبنى عشه فى الوديان البعيدة وعلى قمم الجبال ، ومن عاداته شدة الحذر والتوقى ، وهو على شىء كبير من الذكاء وسعة الحيلة ، فقد قيل إنه عطش ذات مرة ، وكان على مقربة منه جرة فى أسفلها قليل من الماء ، فما كان منه إلا أن أخذ يلقى ببعض الحصوات داخل الجرة حتى ارتفع منسوب الماء وأخذ يحتسى منه ما شاء . ومن جنسه الغراب المروحى الذنب ، الذى يستوطن جنوب سيناء ، والغراب الأبقع وغراب البين والزاغ والغداف وغراب الزرع .

ومن القنابر المكاء(١) بضم الميم وتشديد الكاف ، وهو طائر ذو صفير حسن وتصعيد فى الجو وهبوط منه ، وهو فى أثناء ذلك يمكو أى يصفر ، ومن أسمائه الأخرج ومن جنسه القبرة بالضم والتشديد ، والقنبرة المغربية ، وهى من الأوابد ، والقنبرة الكبيرة وهى من القواطع بيضاء تحت الجناحين ،

---

(١) Lark.

والقنبرة القصيرة الأصابع وهى من الأوابد ، وقنبرة الصحراء والقنبرة المتوجة وهى حسنة الصوت تفترس حشرات المحاصيل ؛ ولذا حرم صيدها كما حرم صيد غيرها من الأنواع التى تتغذى على ديدان الزرع وماشابهها .

ومن الفتاحيات الجشنة[1] الصفراء بالضم ، وهى من القواطع ، ومن جنسها جشنة الشجر ، وهى طير أليف يزحف بين الأعشاب وتحط على الأشجار ، وهى أيضاً من القواطع . ومنها الجشنة الحمراء الحنجرة ، وكلها سوداء اللون ، ومن جنسها أبو فصادة[2] : ويعرف أيضاً بالذعرة بالضم ثم الفتح ، وهو طائر صغير يكثر من تحريك ذنبه ، ويعرف فى سوريا باسم أم سكعكع من القواطع ، ويفد إلينا بكثرة فى الربيع والخريف ويتغذى على الحشرات ، ومن جنسه الأزرق الرأس والأصفر والأبيض والرمادى والأشهب والأسود والرومانى .

ومن الدخليات السكسكة[3] وتعرف أيضاً بالصعو ، وهو أصغر جنس العصافير حجما ، ويعرف فى سوريا بالسكسوكة ،

---

(١) Pipet.

(٢) Wagtail.

(٣) Wren.

له حركات دائمة وهو لا ينقطع عن السكسكة أى الصفير ، وهذا العصفور خلاف الطائر المعروف بالسقساق[١] بالفتح ، ويعرف أيضاً باسم القطقاط ورسول الغيث . ورسول الغيث . والسكسكة أنواع منها الخنشع بالفتح ، وهو من الطيور القواطع ، والهازجة[٢] وهى من الطيور القيمة كثيرة الصياح والشقشقة تبنى عشها حول سيقان النبات ، والفصية بالضم ، وهى من الأوابد ترفرف بجناحيها قبل أن تنتقل فى طيرانها من مكان إلى آخر وهى ذات ذيل مروحى أو طويل .

ومن الشوكيات عصفور الشوك[٣] ، وهو لا يظهر فى مصر إلا شتاء وأكثر مأواه السياج ، وقد زعم أرسطو أن بينه وبين الحمار عداوة ؛ لأن الحمار إذا كان بجلده أذى حكه فى الشوك الذى يأوى إليه هذا العصفور فيقتله ، وربما نهق الحمار فتسقط فراخه أو بيضه من جوف الوكر ، وهى خرافة كما ترى .

الدخلة[٤] بضم الدال وتشديد الخاء ، وهى تفد إلى مصر

---

(١) Plover. (٢) Warbler.

(٣) Hedge sparrow.

(٤) Warbler.

فى الربيع ذات ذيل طويل تحركه إلى الأمام ، ومن جنسها الدج بالضم[١] ، وهو حالك السواد يزور مصر شتاء ، اجتماعى يتغذى على ما يلتقطه من الأرض ، والسمنة[٢] بضم السين ، ومنها المطربة وممنة الدبق .

ومن الأبالق أبو بليق[٣] وهو يزور مصر فى الخريف ، ومن جنسه أبلق البادية ، وهو من الأوابد ، والأبلق الحزين والأبلق الأبيض العجز ، ومن جنسه أيضاً الحمراء وهى من القوطع ومثلها أبو الحناء .

ومن الصردية الصرد[٤] بالضم ، وهى من القواطع ومنها صرد البادية والنهس . ومن التميرية تمير وادى النيل[٥] ، وهو يحق من أصغر الطيور حجما وأجملها صوتاً يمتص التمر والزهر كما يمتص النحل الرحيق ، ويشاهد فوق أراضى الوادى ، ومن جنسه التمير الحبشى والتمير العربى والفلسطينى والنيلى . وموطنها جميعاً وادى النيل ، ويعرفه العامة باسم أبى الريش .

---

(١) Ouzel.
(٢) Thrush.
(٣) Wheatear.
(٤) Shrike.
(٥) Sunbird.

ومن العصفوريات البلبل الزيتوتى[١] ، وهو من زوار مصر شتاء قصير المنقار كبير الجسم بالنسبة لباقى العصافير ، ومن جنسه العصفور الخضيرى[٢] . وهو من القواطع ، والحسون[٣] ويعرف عندنا بأبى زقاية ، وهو من الأوابد يغرد فى الربيع والصيف تغريداً حسناً ، ولونه خليط من الحمرة والصفرة والبياض والسواد والزرقة ، ومن جنسه العصفور التفاحى ، ويزور مصر شتاء والعصفور النعار وهو فى حجم الكنار ، والزمير المصرى[٤] ، وهو من الأوابد ، ومن جنسه العصفور الوردى والعصفور الظالم وعصفور الصخر والعصفور المخطط ، ثم عصفور النيل وهو من الأوابد ، وعصفور الدور الفلسطينى والأسبانى والإيطالى وهى من القواطع .

على أن المركز الجغرافى الممتاز للجمهورية العربية المتحدة واعتدال جوها صيفاً وشتاء وانتشار مزارعها ووفرة كلئها وسهولة أرضها وملاءمة مناخها ، جعلتها محطا ومستراحا للكثير من الأنواع الأخرى للطيور التى لم يوفق إلى مشاهدتها

---

(١) Hawfinch.

(٢) House Sparrow.

(٣) Goldfinch.

(٤) Bulfinch.

والترجمة لهـا العلماء الأخصائيون المتقدمون ، مما كان ولا يزال سبباً فى عـدم الإحاطة إحاطة جامعة بكافة الطيور القواطع التى تفد إلينا لواذاً من صبارة الشتاء وحرارة الصيف اللتين تستهدف لهما هذه المخلوقات الرقيقة فى مواطنها فى شمال المعمور وجنوبه .

طباع الطيور

اختلف البحاث وعلماء الحيوان فى ذلك فقال البعض : إن ما يصدر من الطيور من مختلف الحركة والسكون ، وما يند عنه من اصطناع الحيلة والابتكار إنما هو بإثارة من الذكاء والتعقل ، وحافز من أعمال الفكر وحسن التدبر ، ثم ساقوا الأمثلة التى لا تحصى تأييدا لحجتهم وتدعيما لقولهم ، فذكروا تلك القصة المعادة ، وأعنى بها حديث الغراب والجرة الذى سبقت الإشارة إليه ، وحديث دجاجة الماء(١) التى شاهدت فى ذات يوم دراجة(٢) كان قد عنى باقتنائها أحد هواة الطير ، فوضع لها الحب الذى تتغذى عليه فى صندوق ينفتح تلقائيا إذا حطت الدراجة على القضيب المتصل به وينغلق إذا شالت ، وهنا سولت النفس لدجاجة الماء أن تختلس شيئا من هذا الحب ، فحطت بثقلها على القضيب كما كانت تفعل الدراجة ولكن الغطاء لم يتحرك ، فأخذت تطير عن الصندوق ثم تنقض عليه ، ولكنه مع ذلك لم يستجب لها ، وعند ذاك أدركت

---

(١) Moorhen. (٢) Partridge.

أنها أخف وزنا من الدراجة ، فطارت بعيدا ثم عادت بعد برهة ومعها طائر من جنسها فحط الاثنان فانفتح الغطاء و نالا من الحب ما يشتهيان ، ثم حديث الأوزة التى كانت تقود صاحبتها العمياء فى الطرقات المزدحمة ، وقد شد منقارها إلى طرف عصا طويلة وأمسكت العجوز بالطرف الآخر حتى لا يفلت منهما الزمام ويضيعا وسط الزحام . وحديث السوادية[1] التى تخيط بمنقارها ورقتين من ورق الشجر حتى تكونا معا على هيئة الكيس فتسكن فيه صغارها ثم حديث الحجلة[2] إذ ترفع جناحها أمام الكلب الغادر كأنها مجروحة لا تستطيع حراكا ، ثم تطير فجأة إلى وجهه محاولة أن تفقأ عينيه أو تناله بأذى يبعده عنها وعن بنيها . ثم حديث الأوز البرى الذى يقطع المسافات البعيدة فى خطين منفرجين كساقى المثلث ، فتطير واحدة منها فى مقدمة السرب ، فإذا أصابها الإعياء تأخرت قليلا إلى الوراء وأخذت مكانها الأوزة الأخرى ، وهكذا تقوم كل واحدة بالقيادة فى نوبتها دون أى خلل أو ارتباك . وغير هذا وذاك من القصص والنوادر التى جرت بها الأقلام ولا يعوزها الصدق أو السند الصحيح .

---

(١) Ganraet.

(٢) Partridge.

وقد علل البحاث والعلماء هذه الظاهرة بأنها راجعة إلى الزكانة والعقل اللذين تستدعيهما سعة أدمغة هذه المخلوقات ، فهي عالية إذا ما أخذنا في الحسبان نسبة هذه الأدمغة إلى جسومها الصغيرة ، فقد دل الفحص العلمي على أن هذه النسبة في عصفور الكنار ١/١٤ ، وفي الديك ١/٢٥ ، وفي العصفور الدوري ١/٢٥ ، وفي أبي الحن ١/٣٢ ، وفي الشحرور ١/٦٨ ، وفي البطة ١/٢٥٦ ، وفي النسر ١/٢٦٠ ، والأوز ١/٣٦٠ . أما الإنسان فنسبة دماغه إلى جسمه تختلف من ١/٢٢ إلى ١/٣٢ ، ومع ذلك فنحن نخطىء إذا أردنا البحث عن طبائع الحيوان حين نقابل بنيتها ببنيتنا فندعي أنها دوننا ، مع أن كلا من الفريقين كامل بالنسبة لنوعيته ، وإلا فماذا نقول في الأوزتين اللتين شهدتا معركة بين ديكين فلم يسعهما إلا أن يصيحا ويجلبا كأنهما تستنجدان بمن عساه يفض هذا العراك ، فلما لم يفد صياحهما أخذتا تنقران الديكين وتجذبانهما إليهما حتى انفصل المتبارزان ووقف النزال .

على أن مسألة ذكاء الحيوان كانت قديما مثار مناقشات عديدة ، إلى إن جاء الفيلسوف الفرنسي ديكارت ، فأنكر بتاتا أن الحيوان متمتع بشيء من الذكاء قائلا : إن فعالها آلية محض لا أثر لأعمال الفكر فيها ، فلما طلع دارون بعد ذلك بنظرياته

فى النشوء والارتقاء ، وشايعه عليها أمثال لامارك واتيين جوفردا وغيرهما ؛ تغيرت النظرة إلى موضوع ذكاء الحيوان قائلين . إن ما يعرف من قوة الذكاء فى الإنسان لابد أن له أصلا فى الحيوان حتى فى أحطها مرتبة وأبسطها تركيبا ، وأن هذا الأصل قد لحقه التطور والترقى مع ما لحق الحيوان منهما حتى وصل إلى ما وصل إليه الإنسان . وغالى العلامة أرنست هكل حين قال : إن أصول المدارك الإنسانية موجودة فى أبسط أنواع الحيوان حتى الأولية منها ، أى التى تتكون من خلية واحدة ، وأيا كان تضارب الآراء وتطورها فالرأى المعول عليه اليوم هو أن مظاهر الذكاء تشاهد فعلا فى الحيوان ، وإن كانت أقل قوة مما لدى الإنسان . وقد استدلوا على ذلك ببعض المشاهدات التى تقدمت الإشارة إليها .

ولعل من آثار هذه الفطنة ولا أقول الحكمة ، مايشاهد من آيات التعاون والتساند بين أفراد عالم الحيوان بعضهم لبعض ، فالفصائل فالرتب على حد سواء — فهى تتعاون على العمل الضرورى للمجموع وتتكتل عندما يضطرب الموقف على نحو يدعو إلى الدهشة والاستغراب ، فليس منا من يجهل ما يصدر عن النمل من وسائل التعاون والتساند فى إقامة بيوته وأهرائه

وطرقه وزرعه الحدب ، وما يصدر من النحل فى بناء الخلايا وجمع العسل وإقامة الحراس على أبواب القفائر إلى آخر ما يأتيه الفريقان من آيات التعاون المؤسس على إشراك المجموع فى سبيل نفع المجموع .

وليس من يجهل أيضاً أن الحواصل وهو البجع يجتمع فى وسط الماء على هيئة عصابات فى أنصاف دوائر ، ثم يتقدم أفراد العصبة جميعاً نحو البر مضيقين حلقتها شيئاً فشيئا إلى أن يصيدوا كل مافيها من السمك كما يفعل الصيادون . وقد تقف عصابة أمام عصابة أخرى وكل منهما فى شكل نصف دائرة وتتقدمان رويدا رويدا وهما متواجهان ، وكل منهما تضيق حلقتها إلى أن تجتمعا فى دائرة محصورة وتصيد كل ماوقع فيها من سمك .

والكراكى لاتطير متفرقة ، وإنما فى جماعات متراصة يتقدمها واحد كالرئيس عليها وهى طائرة فى إثره إلى أن يخلفه آخر منها مقدما عليها ، وهكذا حتى يصير الذى كان فى المقدمة فى المؤخرة . وغنى عن الذكر أن مثل هذا التعاون والتساند خليق أن يتيح لصغار الطير الغلبة مجتمعة على كباره ، فصغار البواشق تجتمع على الكبير من النسور وتزاحمه على صيده

من الجيف ، وكذلك تفعل صغار الطير فى الأفعى حتى تطردها شر طردة .

وجنس الببغاء أقوى تعاونا وأكثر ترابطا من الأجناس الأخرى ، فمن ذلك أن عصائبه تختار مكانا تسكنه فتخرج منه كل صباح فى طلب الرزق دون أن يفارق بعضها بعضا ، فإذا دخلت حقلا أو نحوه أقامت منها حراسا عليها تستمع إلى تحذيراتهم وأوامرهم ونواهيهم ، فإذا دنا منها عدو هبت كلها وهربت لواذاً إلى مساكنها ، وقد تقصد إليها أنواع أخرى من الطير وتقيم عندها على الرحب والسعة .

ومما يذكر استطرادا أنه لو تصادق ببغاوان وائتلفا ثم مات أحدهما فإن الآخر لا يلبث أن يموت حزنا عليه ولو كانا من نوعين مختلفين . إن مثل ذلك التعاون هو الذى جعل جنس الببغاء فى مأمن من أعدائه ، حتى لقد قال بعضهم : إنه لاعدو للببغاء إلا الإنسان ، ولعله السبب أيضاً فى إذكاء مداركه حتى أشبه الإنسان فى كثير من أمره .

وما كان لنا أن ننسى الإشارة إلى تعاون الأزواج من الطير على حضن بيضها مناوبة وتربية صغارها حتى تشب عن الطوق ، ولا أن ننسى ما يتجلى من أسرابه عند قطعه المسافات السحيقة ،

من إقامة الحراس والرواد لتهديها السبيل فى المفاوز وتنبهها إذا ما استهدفت لشىء من المخاطر ، الأمر الذى يعرفه الصيادون فيبدؤون بالتصويب على الدليل أو الحارس إلى أن يردوه قتيلا فيصبح السرب بعد ذلك لقمة سائغة بين أيديهم ، بل لقد قيل إن كبار الطير تحمل صغاره أثناء طيرانها البعيد المدى ، ومن ثم نخلص إلى القول إن التعاون فطرى فى الحيوان ولاسيما فى الأنواع الدنيا منه ، وإنه كلما ارتقت طوائفه صار التعاون فيها خاضعاً لحكم الضرورة .

ومع التسليم جدلا بأن الطير يتمتع بمظاهر الذكاء والتعاون على النحو الذى تقدم، فإن ما عرف عنه من أن أسرابه وعصائبه تخضع عادة لزعامة واحد منها ، لا تخالف له أمرا ولا نهيا ، يدعونا إلى التفكير مليا فى كيفية تمتع هذه المخلوقات بهذا اللون من التقدير لفرد بعينه يرقب حركاتها وسكناتها ، وتتركه بنفس راضية مرضية على مقاليد أمورها ومصائرها ، وإقامة الحدود فيها ، فرد لابد تتجلى فيه القوة والحزم وينساب فى عروقه دم الشباب الحار ، ومع ذلك فالويل له إن طغى أو ظهر من بين عصبته من هو أفتل منه ساعداً ، فغلبه على أمره واستلب منه أسباب الزعامة والسلطان ، عندئذ تقلب له الجماعة ظهر المجن

وتسلم إليه قيادها طواعية ؛ لأنه فى نظرها أحق بها من ذاك .
فإذا استقرت تحت إمرة زعيمها هذا وعاشت عصابة واحدة متساندة شاعت بينها شبه حكومة شعبية تتولى عامتها تنفيذ قوانينها على نحو ما يشاهد فى عصابات الغربان والكراكى والعصافير ، فقد أثر عن الغربان أن لها محاكم تلتزم قوانين العدالة والقسط ، فمن ذلك ما قيل من أن بعض المهتمين بأبحاث الطير رأى كيف تدور هذه المحاكمات وتنفذ تبعاً لفداحة الذنب أو تفاهته ، فقد يكتفون بهدم العش الذى اغتصبه أحدهم ورد المواد المبنى منها إلى صاحبه ، وقد لا تتجاوز العقوبة توقيع اللوم على المذنب لما ارتكبه فى حق غيره ، وقد يعاقبونه بالنفى من عصبتهم وإقحامه فى جماعة أخرى سيكون فيها فى موضع الزراية والتحقير ، وقد قيل إن خطافا بنى عشا فرآه عصفور فدخل إليه وامتنع فيه ، فلم يسع صاحب العش إلا أن يستغيث برفاقه فخف إليه المئات ، وحاولت طرد المعتدى ولكنها لم تستطع ، لأنه كان محاطاً بأعواد القش من كل جانب ، فلما أعياها أمره رجعت عنه وظن كل من رأى هذا المشهد أن العصفور قد انتصر بمفرده عليها ، ولكنها لم تلبث أن عادت والطين يملأ أفواهها فهجمت على مدخل العش فسدته به حتى مات العصفور اختناقا .

وزعم آخر أنه كان راكبا أحد القوارب ، فشاهد جماعة من الطائر المعروف بمالك الحزين وهو البلشون ترعى فى الماء الضحضاح ، فاقترب محاذراً واختبأ وراء شجرة بحيث يراها ولا تراه ، وكانت فى تلك اللحظة شديدة اللغط والجلبة ، وبعد قليل توقفت عما كانت فيه وأخذت تحدق فى طائر منها وهو لا يبدى حراكا ، ثم إنها عادت إلى ما كانت فيه من الشقشقة واللغو وبقيت كذلك فترة من الزمان ، ثم سكنت فجأة ووثبت على الطائر المسكين وما زالت تنقره حتى قتلته ، وليس يشك كل من رأى ذلك أن الطائر المقتول كان قد تعدى على شريعة جماعته فحاسبته ذلك الحساب العسير ثم حكمت عليه بالإعدام .

وقال آخر إنه شاهد حرجة كثيرة الشجر ، كانت الغربان تبنى أوكارها فى أعلى أشجارها ما عدا شجرة منها ، فإذا حاول فرخان بناء عشهما فيها نهتها عن ذلك بقية الغربان ، وأجبرتهم على التخلى حالا عنها وبناء العش فى سواها ، قال : ثم تبين له بعد ذلك أن أصل الشجرة كان متآكلا فعصفت بها الريح فى صبيحة أحد الأيام ، أما كيف أدركت الغربان ذلك فهذا ما لم يعرفه حتى اليوم ، غير أن منع بعضها بعضاً من بناء عشاشها فى رأس تلك الشجرة يشعر بأنها كانت تعرف ما يجب عليها عمله ففعلته عن طيب خاطر .

بل ثم نوع من الغربان ذات القنازع، وموطنها جزر شتلاند من مألوف عاداتها أن تتوافد إلى حقل أو فوق تل، وهناك ينتظر بعضها بعضا أياما وليالى إلى أن يتكامل عددها ويحضر كل من يهمهم الأمر منهم، فإذا تم لهم ذلك نحى المجتمعون واحد أو أكثر وأقامت عليه حراساً حتى لا يتمكن من الهرب، ثم يشرع الباقون فى النعيب والنعيق جماعات جماعات فترة من الزمان تنقض فى نهايتها على الطائر المتهم، ولا تزال تنقره بمناقيرها حتى تمزقه شر ممزق ثم يعود كل منها من حيث أتى، وما من شك فى أن الطائر المسكين كان قد أتى مكفراً. وأن الجماعة كانوا منه بين قضاة ومحامين وشهود ومنفذين للعقوبة، بل لقد زعم أحد قساوسة الإنجليز أنه كان ممتطيا يوما جواده، وإذا به يسمع نعيبا عاليا صادرا من مجموعة من الغدفان وهى الغربان التى تستوطن الجزر البريطانية وغيرها، وقد تحلقت حلقتين منتظمتين الواحدة داخل الأخرى، وفى وسطهما غداف (١) أسحم وكلها تنعق وتصفق بأجنحتها كأن بها حنقا وشهوة إلى الانتقام، والغداف المحاصر ينعق هو الآخر ويصفق مثلها كأنه يجادلها ويحاول

(١) Rook.

إقناعها بطهارة ذيله ، وبعد هنيهة تغيرت أحواله فخفض جناحيه ونكس رأسه وأمسك عن النعيب كما لو كان قد أسقط فى يده ويطلب الصفح والغفران . وعند ذاك وثب عليه غدفان الحلقة الداخلية وأوسعوه تمزيقا بمناقيرها حتى جرت دماؤه وفاضت روحه ، ثم إن جماعة الغدفان كلها نعبت نعيبا متواليا وطارت إلى حال سبيلها .

وبسبيل ذلك ما يعرف من أن الغدفان مشهورة بالسرقة والسطو على ما ليس لها ، فكثيراً ما تسطو صغارها على عشاش كبارها وتسرق ما فيها من دقاق العيدان تخلصا من مشقة جمع القش اللازم لبناء عشها . فاذا عاد أصحاب العشاش ووجدت ما حل بأوكارها أخذت تبحث عن السارق حتى تعرفه فتشكو أمرها إلى الجماعة ليقتصوا لها على النحو المتقدم .

وقل مثل ذلك فى فصائل العصفور ، فانه إذا تشاجر اثنان قصد المغلوب منهما فشكا ما وقع له إلى جماعته ، فتوفد إليه أربعة أو خمسة تنقض على المعتدى وتنهال عليه لوما وتثريبا وهى تتواقع عليه حتى ينال منها كفايته ، فاذا انتهت من ذلك عادت فعاملته بالرفق كأنه لم يأت ذنبا .

واللقلق كما هو معلوم شديد الأنفة بالغ الغيرة على عرضه ، فقد

زعم أحد الجراحين الفرنسيين أن الرغبة استبدت به يوماً لاقتناء لقلق فلم يوفق ، وفى ذات يوم عثر على عش لزوجين من ذلك الطائر فاختلس بيضهما ووضع مكانه بيضتى دجاج ، وبعد أيام نقف البيض وخرج فرخان من أفرخ الدجاج لا اللقالق ، فغاب الذكر عن أنثاه بضعة أيام ثم عاد ومعه طائفة من بنى جنسه حطت كلها وأحاطت بجثم الأنثى ، وجعلت تلقلق وتلغو طويلا ثم وثبت عليها ومزقتها وقوضت العش ثم رجعت من حيث أتت . ومن ذلك أيضاً ما يرواه أحد الطارنة الإنجليز من أنه شاهد لقلقين وقد بنيا عشهما على مدخنة أحد المنازل ، وفى ذات يوم طلع صاحب البيت ووجد فى ذلك العش بيضة فاختلسها ووضع مكانها بيضة أوزة ، فلما رآها الذكر جن جنونه وطار محلقاً فوق العش ثم غاب عن الأنظار ، كل ذلك والأنثى فى عشها تربى الأوزة كما لو كانت فرخها ، وبعد أيام سمع أصحاب البيت لغطاً شديداً فى حقل بجانبهم فنظروا فاذا جماعة من اللقالق قد تحلقت وأخذت تلقلق بصوت مرتفع ثم صمتت فجأة ووقف واحد منها على بعد نحو عشرين ذراعاً وجعل يصوت كأنه يوجه إليها خطابه ، ثم تأخر وجاء آخر مكانه وفعل كالأول ، وما زالت تفعل ذلك حتى قارب النهار على الانتهاء ،

ثم إنها طارت كلها صوب العش وأمامها دليل هو صاحب زوج الأنثى المتهمة التي ظلت ملازمة عشها لا تريم وإن بدت عليها أمارات الخوف والفزع ، كأن المسكينة قد أدركت مصيرها المحتوم ، فلما دنا الذكر منها دفعها بعنف حتى أخرجها من العش ، ثم انقضت عليها اللقالق وعملت فيها وفي فرخ الأوز حتى قتلتهما .

وهذا قليل من كثير مبني على المشاهدة والواقع اللذين ينطقان بأن بعض أنواع الطير أو لعل سائره تقتص من المسيء إذا أساء .

وثمة طيور لا بأس من وصفها بالمحاربة ، ولست أعني بذلك أنها محاربة على النحو الذي يفهمه الإنسان ويمارسه بمناسبة وغير مناسبة ، وإنما هي صفة من صفات الطير جبلت عليها ولا تحيد عنها ، وأعني بها عادتها في فض ما يعترضها من مشكلات فور الوقت ، فالجوارح إذا ما أقبلت استعملت مخالبها والجوائم مناقيرها وأرجلها ، والببغاوات والعصافير الدورية تعض أقدام خصومها ، والبط والحمام تضرب بأجنحتها . وهناك قلة من الطير لا بأس من وصفها بالمقاتلة والعقاب على رأسها جميعاً ، فقد كانت الشعار الذي اتخذه قديماً ملوك الشرق وقادته رمزاً لقوة ملكهم

وامتداد سلطانهم ومنعة جانبهم ، وكذلك اتخذها ملوك آشور وبابل والفرس ، ثم سار على نهجهم ملوك الفرنسة والجرمان ، ومما يذكر أن العقاب البيضاء كانت قد اختيرت لتمثل بولندا عقب اعتناقها المسيحية فى عهد الملك ميكزسلاو فى غضون القرن العاشر ، ذلك بأنه كان لا بد أن يخلى الشعب البولندى جانب إحدى الغابات الهامة استعداداً للاحتفال بتتويج الملك ، وفى تلك الأثناء سقط من إحدى الأشجار الباسقة وكر عقاب بيضاء ، كان يضمها ويضم أفرخها ، وتسبب عن ذلك هلاك الجميع ، أما الملك فقد أثر فيه منظر الدم المتدفق من ذلك الطير وبنيه ، وهو محتضن أفرخه فى حين كان فى وسعه أن يطير لواذا ويتركها تلاقى الموت وحدها ، وفى الحال أمر باتخاذ العقاب البيضاء على الأرضية الحمراء شعاراً لبلاده . وفى القرن الخامس عشر اتخذ إيفان الثالث عاهل الروسيا العقاب ذات الرأس المزدوج شعاراً لبلاده المترامية الأطراف وكذلك فعل نابوليون ثم الأمريكان عندما استقلوا عن الحكم البريطانى ، وهكذا كانت العقاب على مر الدهور رمزاً للدول المنيعة الجانب العزيزة السلطان .

ويلى العقاب فى هذه الصفات الغراب فقد عرف هو الآخر بمنازلة خصومه ، حتى لقد اتخذ الرومان من منقاره رمزاً للقوة والبطش .

هجرة الطيور

رأينا فيما تقدم ، أن الطيور من حيث الإقامة فى مواطنها والترحل عنها بين آبدة وقاطعة ، وأن القواطع ، وهى المهاجرة تقطع المسافات السحيقة من موطنها الذى تقيم فيه أصلا إلى إقليم آخر ، إما طلبا للدفء وحرارة الشمس شتاء ، وضربنا المثل على ذلك بوفود السمان والوروار والبط البرى . فهى تطالعنا خريفا لتنعم بأيام الشتاء الدافئة ثم ترحل فى أعقاب الربيع عائدة إلى موطنها الأصلى لتمضى فيه أيام الصيف الحارة .

وكذلك تفعل الطيور الاستوائية فى مستهل كل صيف لتعود فى أدباره إلى مواطنها .

وهذه الطيور إذ تزمع رحلتها الدورية تتوافد جماعات غفيرة فى أكتوبر وأبريل من كل سنة ، لتبدأ رحلتها الشاقة عبر المحيطات والقارات ، قاطعة آلاف الأميال لكى تصل إلى هدفها المنشود ، بعد أن يهلك منها ما يهلك ويبقى ما يبقى .

ويعين الطير على هذه العملية الشاقة اتساع محيط التنفس ، الذى يتيحه لها صدرها بتركيبه العضوى العجيب ، فرئتا الطير مثبتتان بالجدار الظهرى للصدر ، وهما أسفنجيتا التركيب ،

وتتكونان من شعب عديدة متفرعة متشابكة ، تنتهى بأنابيب دقيقة مما يجعل السطح ذا اتساع كبير ، ويتصل بالرئتين أربعة أزواج من الأكياس الهوائية ، فضلا عن ثلاثة أكياس أخرى فى ناحيتى الصدر ، لتساعد كلها على خفة وزن الجسم واتصال معظم الأنسجة بالهواء مباشرة ، فتحدث عملية تبادل الغازات على ذلك السطح الكبير ، والطيور لا تقطع هذه الأبعاد الشاسعة طلبا للدفء أو هربا من الحر وحسب ، إنما هى تتحمل مثل هذه المشاق فى طلب القوت الذى ستفتقر إليه إذا ما حلت أيام البرد فى المناطق الشمالية التى تستوطنها وغطت الثلوج ماءها وأكلت حبها ونباتها ، أو حين يشتد أوار الشمس فى المناطق الحارة ، بل كثيرا ما تكون الهجرة لحكمة اقتصادية ، مثل تخلصها من ضيق الرقعة التى تحتلها وذرياتها المتكاثرة ، فتنشد إلى حين أرضا غير الأرض ووطنا خلاف الوطن ، وقد يكون قصر النهار فى أيام الشتاء سببا من أسباب الهجرة الموسمية ، لأنه لابد يعوقها عن تحصيل قوتها فى ظلام الليل ، هذا فضلا عن أن الأشعة فوق البنفسجية التى لها أثر كبير فى تكوين الفيتامين د أحد مقومات الحياة الجنسية فى الطير ينعدم وجودها شتاء فى الأصقاع الباردة ، الشىء الذى جعل

الإنسان يلتمسه فى زيت كبد الحوت ، لاحتوائه على قسط كبير من ذلك العنصر الحيوى ، أما الطير فلا تجد لها متنفسا إلا فى النزوح إلى بلاد الجنوب ، حيث الشمس والدفء ولقد جرب بعضهم احتجاز بعض القواطع فى أيام الشتاء ومنعها من الهجرة ، فلحقها الهزال والضعف ثم الموت .

ومن الغريب أن هذه الطيور الرحالة تتبع فى طريقها إلى الجنوب نفس الطريق التى تتنكبها سنين متوالية ، مما قد يكون دليلا محسوسا على درايتها بما تقوم به وعلى علمها بطبيعة الأرض التى تجتازها . وأنكر البعض ذلك فقال : بل إن للطيور مجالا مغناطيسيا تنجذب إليه بحساسية مغنطيسية ، أى أنها تقوم من نقطة معلومة لتصل إلى أخرى معلومة : تختلف باختلاف أنواعها و باختلاف الأمكنة التى تعيش فيها ، بمعنى أنها غريزة فيها متوارثة لولاها لهلكت فى أثناء طيرانها على غير هدى .

ومما هو جدير بالذكر ، أن الطيور تتبع فى رحلاتها جنوباً طرقا جوية على خمس مجاميع ضخمة : الأولى تتكون من الطيور التى تنتقل من شمال أوربا لتحط فى أرجاء السنغال فى غرب أفريقيا . والثانية تشمل طيور جنوب أوربا ووجهتها حوض نهر الزمبيزى . والثالثة هى طيور جبال الأورال إلى

جنوب الهند . والرابعة طيور الهملايا إلى حوض نهر الكنج . والخامس طيور سيبيريا إلى جزر الملايو . أما ما يفد إلى مصر من هذا المجموعات الخمس فهى طيور المجموعة الثانية ، ومعظمها ينتقل إليها من جنوب وأواسط أوربا ومن بلاد العرب وسوريا ، ومن فارس و بلاد الأفغان و بلوخستان والتركستان وما حولها .

وقد دل البحث العلمى على أنه لو استؤصلت الغدة التناسلية لطير ما لما ارتحل عن موطنه ؛ لانعدام الحافز الداخلى الذى يدفعه إلى الهجرة ، وبسبيل ذلك خصى ذكر من الذكران واستؤصل مبيض أنثاه ، فما استجاب أحدهما لداعى الهجرة حتى بعد حلول الشتاء ، كما أن عدداً غير قليل من غربان أمريكا الشمالية الرحالة لم تنشط للرحيل خلافا لمألوف عادتها الموسمية ، و بالفحص وجدوا أن غددها التناسلية معطلة لمرض أصابها كما تقدمت الإشارة إلى ذلك .

فوائد الطيور

وللطير فوائد لا تحصى عرفها الإنسان قديما وحديثا . فقد استعمل العرب الحمام الزاجل فى نقل الرسائل والكتب من بلد إلى بلد ، وكذلك استخدمه غيرهم من الأمم فى الحروب ، وهو لا يزال حتى اليوم يستعمل فى هذا الغرض ، بل فى التقاط صور المكامن التى يختبىء العدو فيها بوساطة آلة تصوير صغيرة خاصة تعلق فى قدمه ، وكذلك استخدم العرب الصقر المعروف بصقر الغزال فى الصيد والقنص ، وذلك بأن يأتى به الفارس فيعصب عينيه حتى إذا ما وقعت عينه على الطريدة أطلقه وراءها ، فيندفع نحوها كالبرق الخاطف ، ولا يزال بها حتى يفقأ عينى المسكينة بمنقاره فتسقط إلى الأرض منهوكة القوى . ويستخدم أهل الصين غراب البحر وقاق الماء فى صيد السمك ؛ لأنهما من الطيور التى تتغذى عليه ، فيربطون له عنقه بمنديل ويشدونه بحبل طويل ربط إلى قارب الصيد ، فيغوص فى الماء ثم يخرج منه وفى فيه سمكة ، فلا يزالون به حتى يستولوا عليها . والأوز يستخدم فى الحراسة كما تستخدم الكلاب .

والكثير من أنواع الطير يتغذى على الحشرات ، منها أبو فصاده والهدهد والبلبل وعصفور الجنة وأبو قردان والكروان والزرزور والخطاف والأبلق ؛ ولهذا عملت الحكومات المصرية على حمايتها بما سنته من قوانين وفرضته من عقوبات . فنحن إذا رمينا عصفورا من هذه الأنواع فأرديناه وفتحنا بطنه وفحصنا ما فيها جيدا ، وجدنا أن أكثر طعامه من الحشرات ، وقد أحصى بعضهم ما يأكله العصفور كل يوم من الديدان التى تتلف المزروعات ، فوجدها لا تقل فى المتوسط عن مائة ، وهو لعمرى عدد لا يستهان به إذا نحن أدخلنا فى الحسبان عدد ما يلتهمه الواحد منها فى أكثر من ثلاثين يوما ، وهى مدة انتشار الديدان المضرة بالزراعة ، فما بالك بالألوف والملايين من هذه الطيور النافعة .

كل هذا بخلاف ما يتخذه الإنسان من ريش الطير من زينة لملابس النساء وقبعاتهن ، مثل ريش النعام والطاووس وطائر القيثار والحمامة المتوجة والبرقش وطائر الفردوس وغيرها مما يجل عن الحصر ، كما أن من ريش البعض ما يستعمل فى صناعة المراوح وحشو الوسائد . هذا فضلا عن الفوائد المادية والغذائية التى نحصل عليها من اقتناء شتى أنواع الطير والانتفاع

ببيضها ، وبخلاف دورها فى نقل البذور إلى الجزر النائية والأراضى البعيدة عن الصحراء حيث تتكاثر وتزدهر .

ولعلنا لا نغفل بهذه المناسبة التنويه بالأعمال التى قام بها الحمام الزاجل فى الحرب العالمية الثانية ، فقد استخدم منه مايزيد على المائتى ألف فرخ فى نقل الرسائل العسكرية ذهاباً وجيئة عبر ميادين القتال ، وفى الوقت الذى كانت فيه أوربا وسط أتون من النيران ، ومحاطة بالاستحكامات التى لم تستطع الجيوش الجرارة والأسلحة الجبارة اجتيازها ، حتى لقد أنعم الكثير من الحكومات على أفراد هذا الطير وجماعاته بالأوسمة والمداليات تقديراً لبطولتها فى خدمة الإنسانية .

الطيور والأساطير

وللطير نصيب الأسد من أساطير الأولين الغابرين وخرافاتهم ، حتى لنرى الكثير منها مدونا باللغات واللهجات التى لاكتها ألسنة البشر قديما وحديثا . فالعنقاء لقيت من اليونان والرومان ومن العرب والهنود والفرس وغيرهم أعظم العناية ، فى شرح مزاياها ووصف طرق معايشها ، وهم يعلمون أن أغلب ما يزعمون - إن لم يكن سائره - من نسج الوهم والخيال الذى لا يمت إلى الحقيقة بأية صلة قريبة كانت أو بعيدة . فزعم أوفيد الشاعر الرومانى أن العنقاء لا تعيش كما يعيش غيرها ؛ من جوارح الطير كالعقاب ، أو من كواسر الليل كالبوم ، أو من الجوائم كالعصافير ونحوها فتأكل اللحوم أو الحشرات أو الحبوب والثمار ، وإنما تعيش على الكندر واللبان والأصماغ الزكية الرائحة ، فما إن يبلغ الذكر سنته الخمسمائة حتى يبنى له وكراً فوق أغصان شجر السنديان أو النخيل ، ثم يشرع يكرس فيه أعواد القرفة والناردين والمر على هيئة ركام يجثم فوقه ؛ ليلفظ أنفاسه الأخيرة وسط عبير الطيب المتصاعد

مع الدخان، و بعد ذلك يخرج فرخ من بين حطام الطير الكبير ليخلفه ويحيا حياته . فإذا كبر واشتد عوده احتمل الوكر الذى يضم رفاة أبيه فطار به إلى هليو بولس من أعمال مصر فأودعه معبد الشمس .

هذا ما قاله الشاعر . أما المؤرخ تاسيت فيزعم أن العنقاء بعد أن اختفت من الوجود أجيالا متعاقبة ، عادت فظهرت فى سماء مصر ، وقد أحاطت بها ثلة من أنواع الطير التى أخذت بجلال منظرها ورائع حسنها وبديع ريشها ، ثم يستطرد فى وصفها بما لا يخرج عما تقدم .

أما أساطير العرب ، فإن ابن الكلبي يقول : إنه كان لأهل الرَّس نبي يقال له حنظلة بن صفوان ،وكان بأرضهم جبل مصعده فى السماء ميل ، وكانت تنتابه طائرة كأعظم ما يكون ، لها عنق طويل وفيها من كل لون ، وكانت تقع منتصبة ، فكانت على ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكله ، فجاعت ذات يوم وأعوزتها الطير ، فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب ، لأنها تغرب كل ما أخذته أي تبعده ... فشكوا ذلك إلى نبيهم فقال: اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آفة ، فأصابتها صاعقة فاحترقت . وروى القزوينى أن العنقاء أعظم الطيور جثة

وأكبرها خلقة ، تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر . . . وأن عمرها ألف وسبعمائة سنة ، وأنها تتزاوج إذا أتى عليها خمسمائة عام ، فإذا حان وقت بيضها يظهر بها ألم شديد ، فيأتى الذكر بماء البحر فى منقاره ويحقنها به فتخرج البيضة عنها فيحتضنها الذكر ، أما الأنثى فتمشى وتصيد . وقال الخليل: إنها سميت عنقاء ؛ لأن بياضا كان يطوق عنقها . وقال آخر . . بل لطول عنقها . وقال فيها أبو نواس :

وما خبره إلا كعنقاء مغرب
تصور فى بسط الملوك وفى المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤية
ترى صورة ما إن تمر وما تحل .

ومثلها الرخ ، وهو طائر بائد ، للعرب فيه أقوال كثيرة . فوصفه داود الأنطاكى بقوله : إن منه ما يقارب حجم الجمل وأرفع منه ، وعنقه طويل شديد البياض مطوق بصفره ، وفى بطنه ورجليه خطوط غبر ، وليس فى الطيور أعظم منه جثة ويقال إنه يقصد المراكب فيغرق أهلها ، ويبيض فى البر وتوجد بيضته كالقبة . . انتهى .

وجاء فى رحلات السندباد البحرى من حكايات ألف ليلة وليلة ، إنه عظيم الخلقة كبير الجثة عريض الأجنحة ، متى طار غطى عين الشمس وحجبها عن الجزيرة فخفيت الشمس ، وأظلم الجو . . . إلخ . وغير ذلك مما تضيق عنه المجال . أما المجمع عليه أن الرخ طائر كبير ، وجد فى جزائر الهند ، وانقرض فى القرن السابع عشر ، وقد عثر على بيضه فى مدغشقر ، وقيل تبلغ البيضة منه نحو ثلاثين سنتيمترا فى الطول .

والفينق قد ذكره اليونان ، بأنه طائر خرافى يقطن فى الصحارى العربية ويعمر أجيالا كثيرة . وقال غيرهم : إنه طائر بحجم النسر ذو عرف وهاج ، وقنزعة ذهبية وريش مبرقش وذنب أبيض وعينين براقتين كالنجوم ، وكان إذا شعر بدنو أجله بنى عشه بغصون يطيبها بالطيب ، ويعرضها لحرارة الشمس فتلتهب ويحرق نفسه حياً فيها ، ثم تتكون من رماده شرنقة تنشق عن فرخ جديد يحمل بقايا أبيه إلى مدينة هليوبوليس بمصر ليضعها فى هيكل الشمس . ويقول العرب : إن الفينق اسم من أسماء العنقاء ، وإن هذه اللفظة جاءت على أشكال مختلفة منها القوقش والقوقيس وغيرها ، وكان الفينق فى عصور المسيحيين الأولى رمز القيامة والبعث ، وجعله

الصينيون رمزا للسعادة والفضيلة والذكاء ، وإن الألوان الخمسة المقدمة مأخوذة عن ألوان ريشه .

والسمندل ، هو طائر زعم العرب أنه يأكل البيش وهو نبت سام بأرض الصين يؤكل وهو أخضر فإذا يبس كان قوتا لهم ، ولا يضرهم شيئا فإذا بعد عن الصين ولو مائة ذراع وأكله آكل مات لساعته ، وهو يستلذ النار ولا يحترق بها ، وقد فسر ذلك بعضهم : بأنه يفرز مادة تطفىء اللهيب . وزعم آخرون أنه طائر ببلاد الهند ، يبيض ويفرخ فى النار ، ويعمل من ريشه مناديل تحمل إلى بلاد الشام ، فإذا اتسخ بعضها طرح فى النار فتأكل الوسخ ولا يحترق المنديل .

ونسور لقمان بن عاد السبعة ، ولقمان هذا اشتهر بعقله ودهائه ، فكان حكيما مشهورا اختلف فى نبوته ، وقد جاء فى مجمع الأمثال أنه عمّر عمر سبعة أنسر ، وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله فى جوبة فى الجبل الذى هو فى أصله ، فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو نحوها ، فإذا مات أخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها ، إلا السابع أخذه فوضعه فى ذلك الموضع وسماه لبد ، وقد عاش لقمان كما زعموا ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة .
وقال فيه طرفة بن العبد :

وكيف يرجى المرء دهرا مخلدا
وأيامه عما قليل تحاسبه
ألم تر لقمان بن عاد تتابعت
عليه نسور ثم غابت كواكبه

والصدى ، هو نوع من البوم عظيم الرأس أينما دار المرء أدار رأسه قبله ، وهو يأوى إلى الأماكن الخربة المظلمة ، ويسمى أيضا الهامة ، وكان عرب الجاهلية يزعمون أنه يخلق من رأس المقتول ، ولا يزال يصيح فى رأسه إذا لم يؤخذ بثأره يقول : اسقونى اسقونى حتى يقتل قاتله . وبسبيل ذلك ما يزعمه سكان اسكتلانده من أن طائر البكاسين إذا شقشق أثناء طيرانه ، فذلك دليل على جفاف الجو وقدوم الصقيع ليلا . وفى فرنسا يقولون إن العقعق إذا بنى عشه فى رأس شجرة فإن جو الفصل القادم سيكون عليلا ، وإن بناه أدنى من ذلك فيتوقعون هبوب الرياح والزوابع . وفى ألمانيا يقولون : إن القنبرة إذا صدحت هى والوقواق فإن ذلك إيذان بحلول أيام الصيف . ويزعم المغول أن النقار كان فى أول أمره عبداً لدى موسى عليه السلام ، وأنه كان لصا لا ينقطع عن السرقة ، فلما لم يفد معه النصح أنذره موسى بأنه إن لم يقلع عن ذلك الداء فسوف يعيش باقى أيامه

على الخشب الذى ينخره السوس . وغير هذا وذاك مما امتلأت به المجلدات الضخمة من الأساطير والمزاعم .

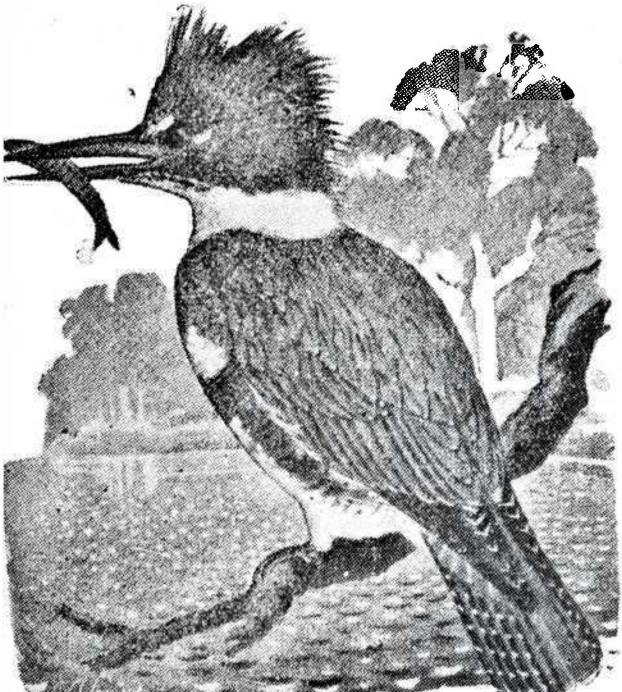
على أن هناك من النوادر المنسوبة إلى بعض أنواع الطير ما يذهب مذهب الأساطير والحكايات . فمن ذلك أن الرومان واليونان كانوا يقتنون الديكة المقاتلة ، ويظهرون لها من التجلة والاحترام ، فيضعون على قنزعة الديك الظافر إكليلا من سعف النخل ، فإذا مات احتفلوا بتشييع جنازته وأقاموا له نصبا يتفق ومكانته ، وكانوا يعتقدون أن الديك إذا ما بلغ السابعة من عمره أحس كأن بيضة تتخلق وتعتلج فيه ، فيأخذه الوجوم ويشرع فى البحث سراً عن مكان يبنى فيه أخوصا لأجلها وهو لا يعلم أن حية تراقبه وتنتظر هذه البيضة بفارغ الصبر ، فإذا وضعها احتضنتها هى ، وخرج منها بعد أيام حيوان غريب الهيئة أقرب إلى الزواحف يعرف بالأفعوان . وزعم البعض أن أبا قروان كان من الحيوانات المقدسة لدى قدماء المصريين وله معابد خاصة يأوى إليها ، فإذا مات واحد منها حنطوا جثته وحفظوها فى مقبرة تخصص لذلك الغرض . على أن هيرودوتس نفى أنه كان يحظى منهم بالعبادة والتقديس ، وأنهم إنما كانوا يقدرونه

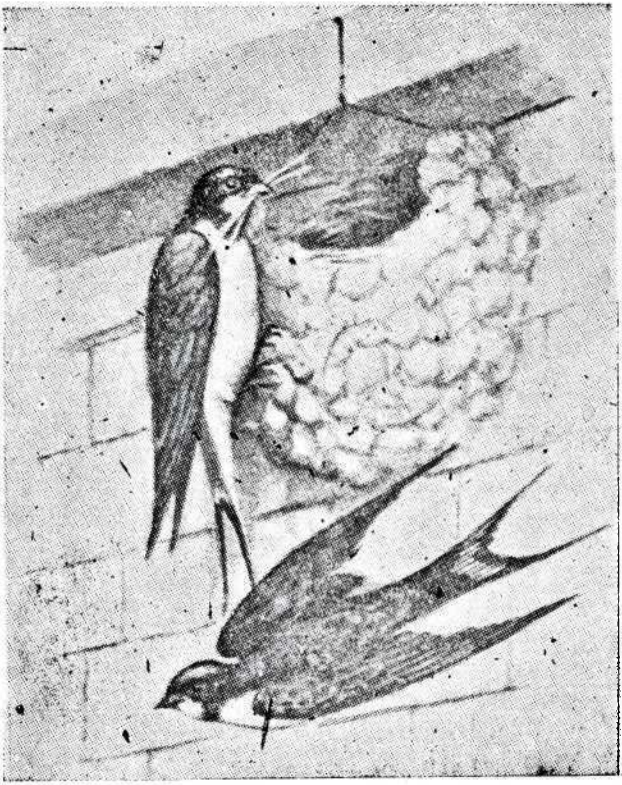
قدره لافتراسه الثعابين والهوام ، فضلا عن فتكه بالحشرات والديدان الضارة بالزرع .

وإن البوقير ، وهو أيضاً أبو طوق وأبو قرن ، فأبيض الريش تفد منه فى كل سنة طائفة إلى جبل يقال له جبل الطير بصعيد مصر ، فتتعلق على هذا الجبل وفيه كوة يأتى كل واحد فيدخل رأسه فيها ثم يخرج ، ويلقى نفسه فى النيل ثم يخرج معه ويعود من حيث أتى . ولم يزل هذا شأنه حتى يدخل واحد منها رأسه فيقبض عليه شىء من تلك الكوة فيضطرب ويبقى معلقاً ، حتى يتلف ثم يسقط بعد مدة ، فإذا تعلق ذلك الطائر انصرف الباقون فى الحال ، فلا يرى شىء منها إلا فى مثل ذلك الزمان من العام المقبل . ويقول الصولى إنه إذا كان العام مخصباً قبضت الكوة على طائرين ، وإن كان متوسطا فعلى طائر واحد ، وإن كان مجدباً لم تقبض على شىء . هذا ما زعمه القزوينى فى كتاب عجائب المخلوقات . ويزعم اليونان أن الغراب الأسحم كان فى أول أمره أبيض اللون وأن أبولو كان قد أوفده ليأتيه بشىء من ماء نبع سماه له ، فلما لم يعد مسرعاً دعا عليه فاسود ريشه ، وعاد لا يرتوى من الماء مهما عب منه .

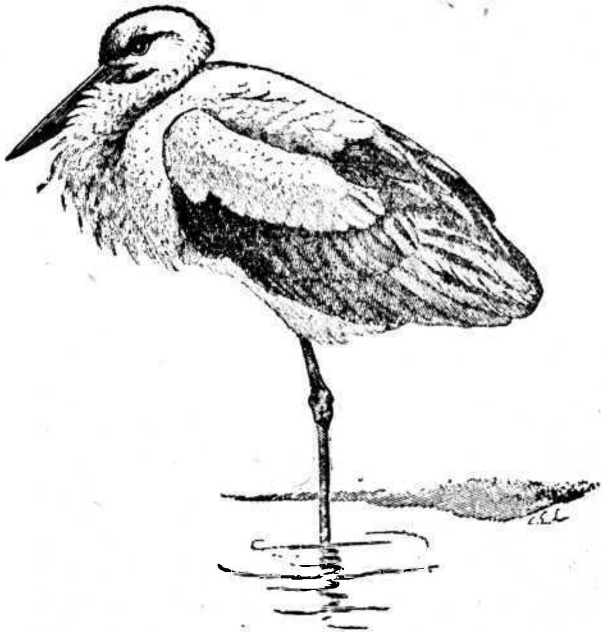
ولبعض الطير مميزات وطبائع ، منها أن الطائر المعروف

بالبطريق ؛ وهو يسكن الأصقاع المتجمدة الجنوبية ، ويعيش فى جماعات تفقس صغاره صيفاً حتى إذا كبرت وترعرعت ألف منها قطعانا ، يترك أمر العناية بها إلى بعض أفراده الكبار ، ويذهب هو لشأنه فيبنى عشه وتفقس صغاره ويعنى بها أكثر من شهر ، يقضى منه ٢٧ يوماً لا يتناول فيها طعاماً غير الثلج يطفىء به عطشه ، ومن غريب أمره أنه يؤلف الجماعات فتقوم بما يشبه التحركات العسكرية ، فتدور جميعاً وفى وقت واحد إلى اليمين تارة وإلى اليسار طوراً ، أو تهجم جماعة منها على جماعة أخرى .

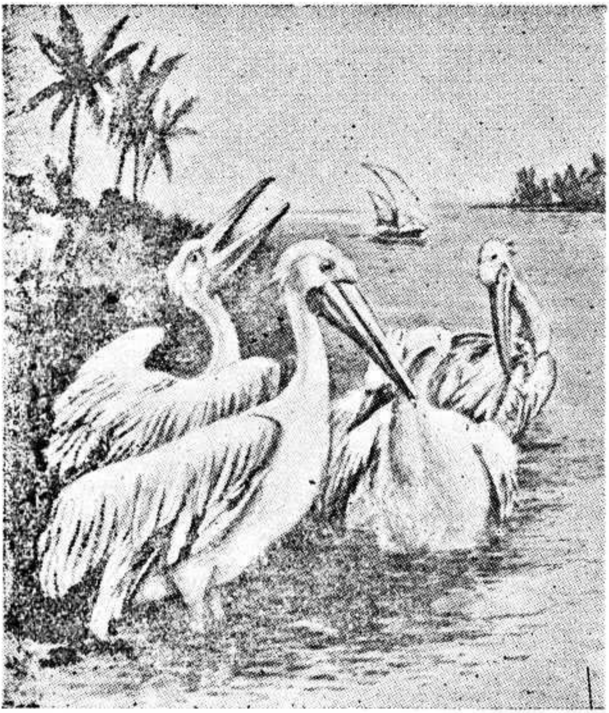




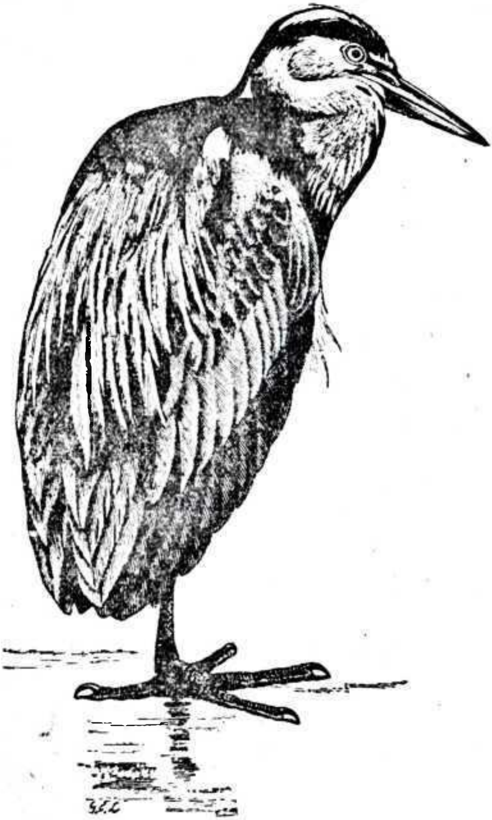
عصفور الجنـة



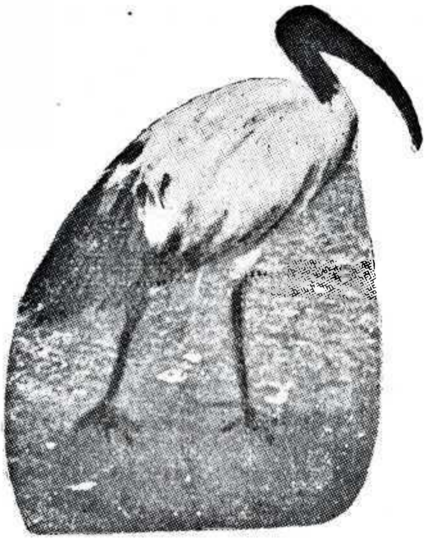
اللقلق



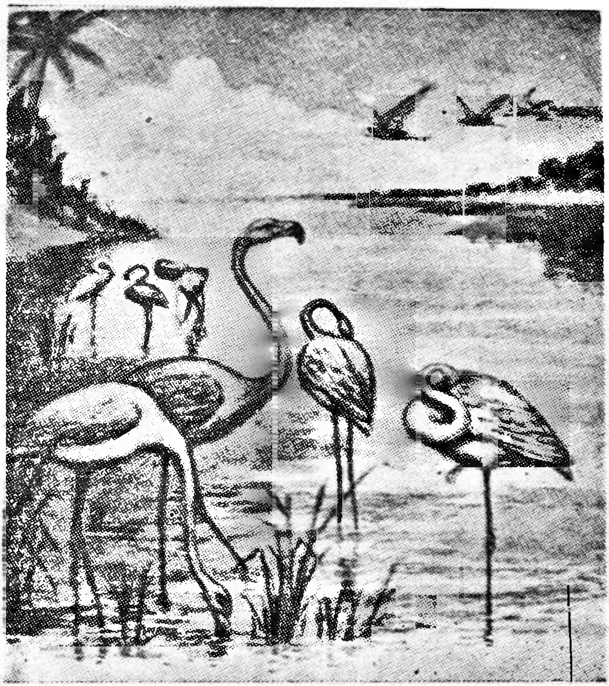
البجعة



مالك الحزين



أبو قردان المقدس



البشروش



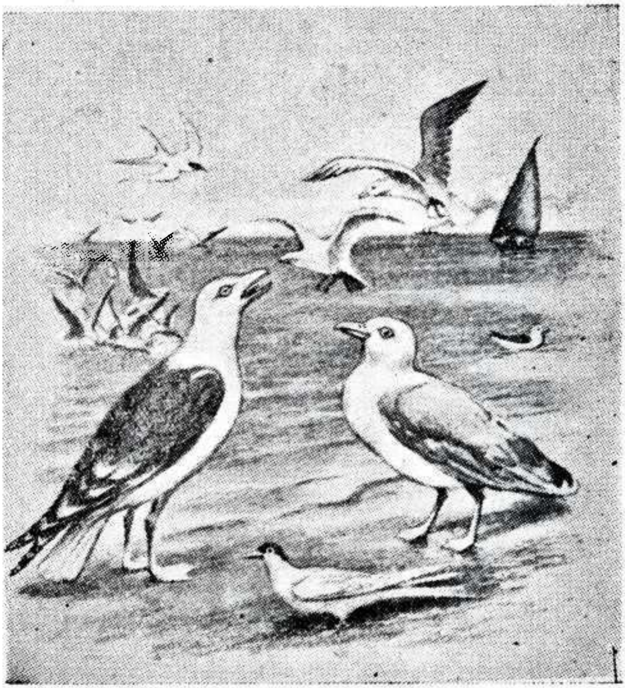
النسر



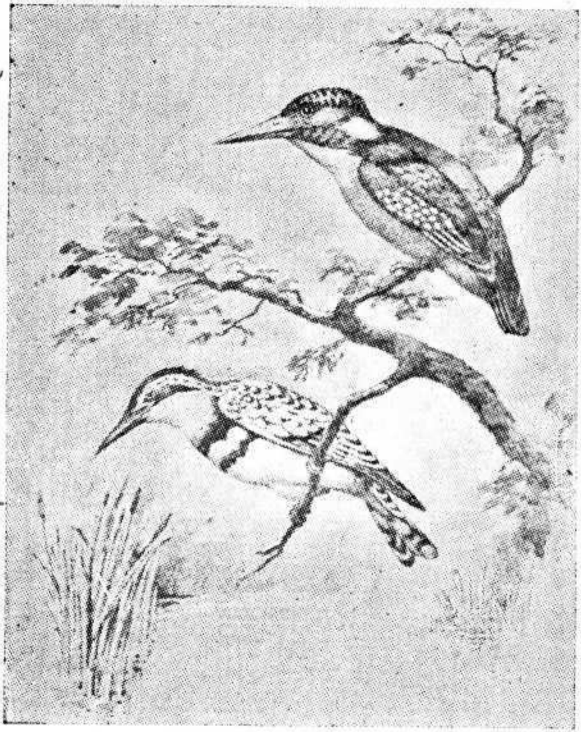
العقاب



حـدأة



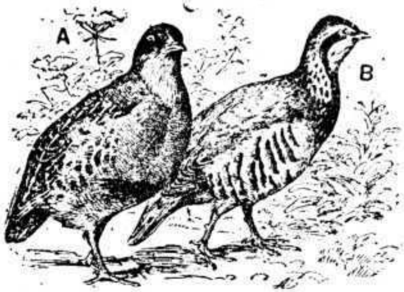
النــورس



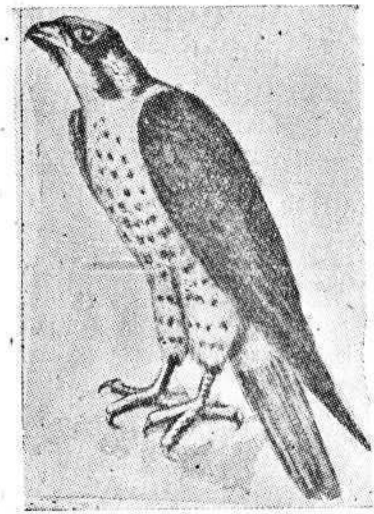
صياد السمك



سمـــان



حجله



الباز



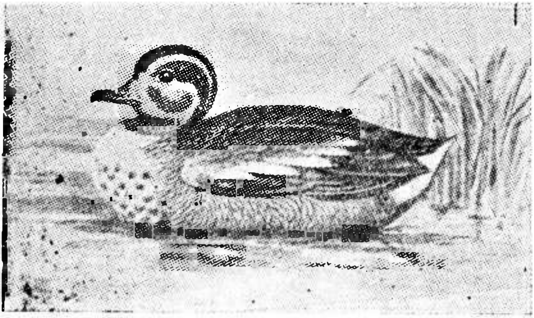
الصقر



كركي



الهـــدهد



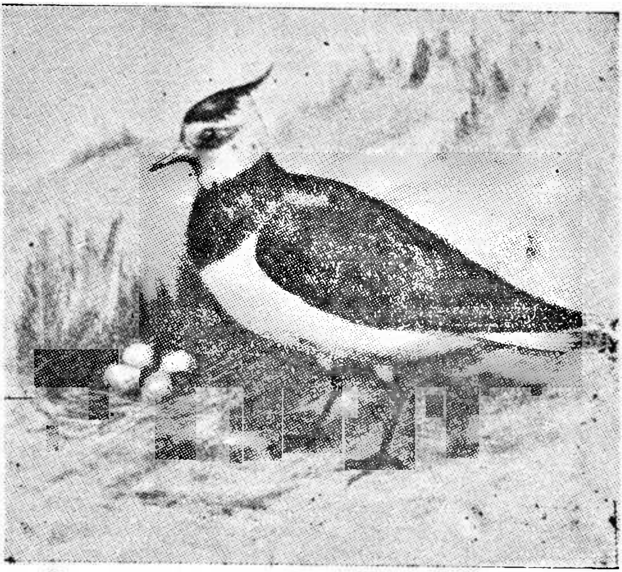
الشرشـــير



الخطاف



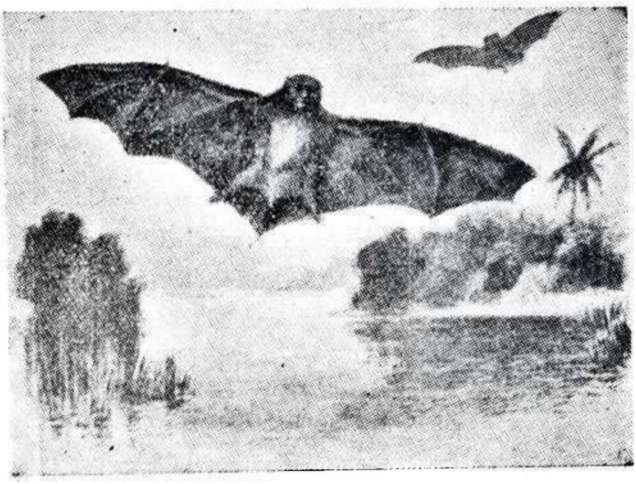
الزريقة



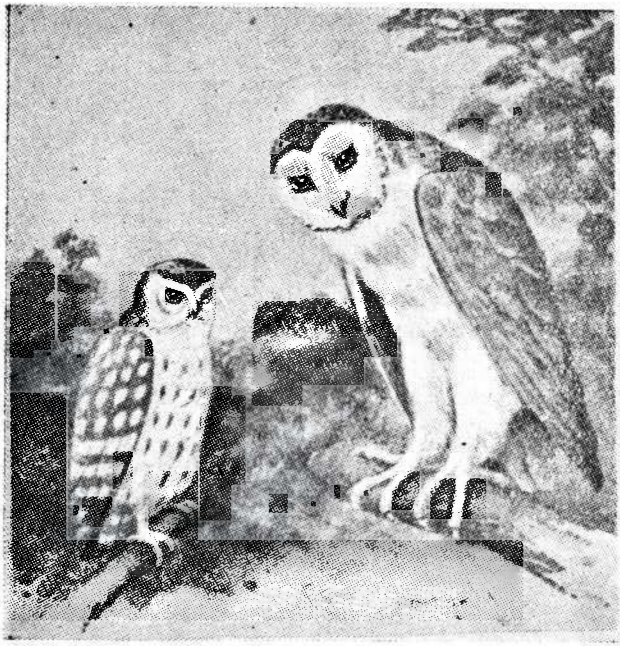
الزقزاق



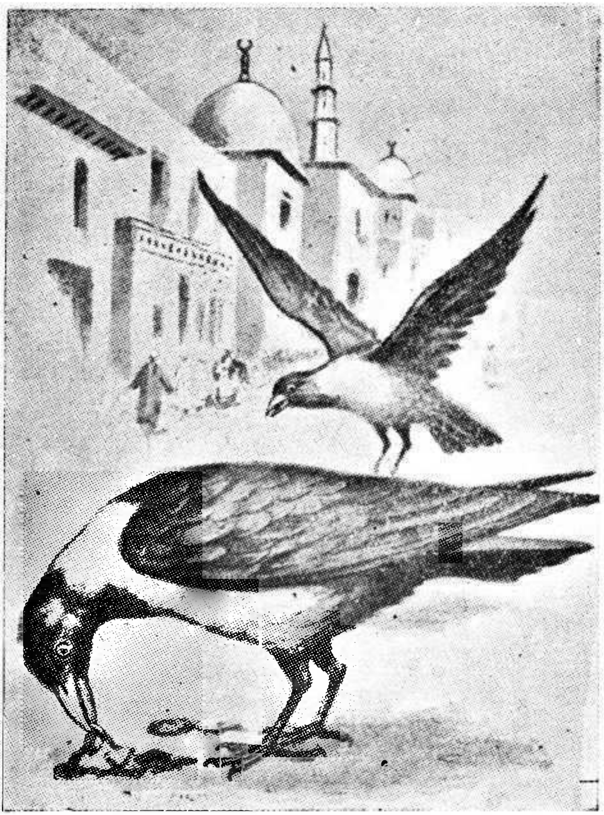
أبو نصاده



الوطـواط



البـــومة



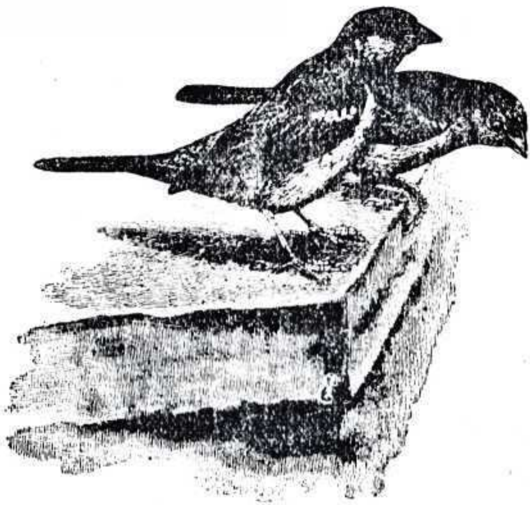
الغـراب



البغاء



أبو الحن



عصفور دوري



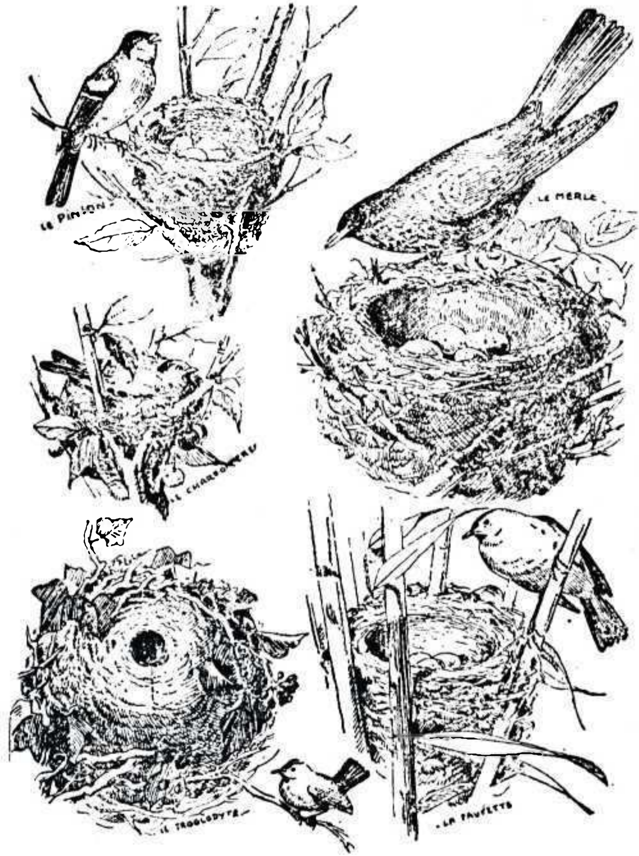
يمام



الصقر



القــرلى



نماذج لعشاش الطير

المكتبة الثقافية

تحقق اشتراكية الثقافة

صدر منها للآن :

١ — الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ... للأستاذ عباس محمود العقاد

٢ — الإشتراكية والشيوعية ... للأستاذ على أدهم

٣ — الظاهر بيبرس فى القصص الشعبى ... للدكتور عبد الحميد يونس

٤ — قصة التطور ... ... للدكتور أنور عبد العليم

٥ — طب وسحر ... ... للدكتور پول غليونجى

٦ — فجر القصة ... ... للأستاذ يحيى حقى

٧ — الشرق الفنان ... ... للدكتور زكى نجيب محمود

٨ — رمضان ... ... للأستاذ حسن عبد الوهاب

٩ — أعلام الصحابة ... ... للأستاذ محمد خالد

١٠ — الشرق والإسلام ... ... للأستاذ عبد الرحمن صدقى

١١ — المريخ ... ... للدكتور جمال الدين والدكتور محمود خيرى

١٢ — فن الشعر ... ... للدكتور محمد مندور

١٣ — الاقتصاد السياسى ... ... للاستاذ احمد عبد الخالق
١٤ — الصحافة المصرية ... ... للدكتور عبد اللطيف حمزه
١٥ — التخطيط القوى ... ... للدكتور إبراهيم حلمى عبد الرحمن
١٦ — اتحادنا فلسفة خلقية ... للدكتور ثروت عكاشة
١٧ — اشتراكية بلدنا ... ... للأستاذ عبد المنعم الصاوى
١٨ — طريق الغد ... ... للأستاذ حسن عباس زكى
١٩ — التشريع الإسلامى واثره في الفقه الغربى } للدكتور محمد يوسف موسى
٢٠ — العبقرية فى الفن ... ... للدكتور مصطفى سويف
٢١ — قصة الارض فى إقليم مصر للأستاذ محمد صبيح
٢٢ — قصة الذرة ... ... للدكتور اسماعيل بسيونى هزاع
٢٣ — صلاح الدين الأيوبى بين شعراء عصره وكتابه } للدكتور أحمد أحمد بدوى
٢٤ — الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى للدكتور محمد مصطفى حلمى
٢٥ — تاريخ الفلك عند العرب... للدكتور إمام إبراهيم أحمد
٢٦ — صراع البترول فى العالم العربى للدكتور أحمد سويلم العمرى
٢٧ — القومية العربية ... ... للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٢٨ — القانون والحياة ... ... للدكتور عبد الفتاح عبد الباقى
٢٩ — قضية كينيا ... ... للدكتور عبد العزيز كامل
٣٠ — الثورة العرابية ... ... للدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى
٣١ — فنون التصوير المعاصر للأستاذ محمد صدقى الجباخنجى
٣٢ — الرسول فى بيته ... ... للأستاذ عبد الوهاب حمودة
٣٣ اعلام الصحابة (المجاهدون) للأستاذ محمد خالد

٣٤ — الفنون الشعبية ... ... للأستاذ رشدى صالح
٣٥ — إخناتون ... ... للدكتور عبد المنعم أبو بكر
٣٦ — الذرة في خدمة الزراعة ... للدكتور محمود يوسف الشواربى
٣٧ — الفضاء الكونى ... ... للدكتور محمد جمال الدين الفندى
٣٨ — طاغور شاعر الحب والسلام ... للدكتور شكرى محمد عياد
٣٩ — قضية الجلاء عن مصر ... ... للدكتور عبد العزيز رفاعى
٤٠ — الخضراوات وقيمتها الغذائية والطبية للدكتور عز الدين فراج
٤١ — العدالة الاجتماعية ... ... للأستاذ المستشار عبد الرحمن نصير
٤٢ — السينما والمجتمع ... ... للأستاذ محمد حلمى سليمان
٤٣ — العرب والحضارة الأوربية ... للأستاذ محمد مفيد الشوباشي
٤٤ — الأسرة فى المجتمع المصرى القديم للدكتور عبد العزيز صالح
٤٥ — صراع على أرض الميعاد ... للأستاذ محمد عطا
٤٦ — رواد الوعى الإنسانى ... ... للدكتور عثمان أمين
٤٧ — من الذرة إلى الطاقة ... ... للدكتور جمال الدين نوح
٤٨ — أضواء على قاع البحر ... ... للدكتور أنور عبد العليم
٤٩ — الأزياء الشعبية ... ... للأستاذ سعد الخادم
٥٠ — حركات التسلل ضد القومية العربية للدكتور إبراهيم أحمد العدوى
٥١ — الفلك والحياة ... ... { للدكتور عبد الحميد سماحة
والدكتور عدلى سلامة }
٥٢ — نظرات فى أدبنا المعاصر ... ... للدكتور زكى المحاسنى
٥٣ — النيل الخالد ... ... للدكتور محمد محمود الصياد
٥٤ — قصة التفسير ... ... لفضيلة الشيخ أحمد الشرباصى
٥٥ — القرآن وعلم النفس ... ... للأستاذ عبد الوهاب حموده

٥٦ — جامع السلطان حسن وما حوله ... للأستاذ حسن عبد الوهاب
٥٧ — الأسرة فى المجتمع العربى بين الشريعة الإسلامية والقانون { للأستاذ محمد عبد الفتاح الشهاوى
٥٨ — بلاد النوبة ... ... للدكتور عبد المنعم أبو بكر
٥٩ — غزو الفضاء ... ... للدكتور محمد جمال الدين الفندى
٦٠ — الشعر الشعبى العربى ... ... للدكتور حسين نصار
٦١ — التصوير الإسلامى ومدارسه ... للدكتور جمال محمد محرز
٦٢ — الميكروبات والحياة ... ... للدكتور عبد المحسن صالح
٦٣ — عالم الأفلاك ... ... للدكتور إمام ابراهيم أحمد
٦٤ — انتصار مصر فى رشيد ... ... للدكتور عبد العزيز رفاعى
٦٥ — الثورة الاشتراكية (قضايا ومناقشات) للأستاذ أحمد بهاء الدين
٦٦ — الميثاق الوطنى (قضايا ومناقشات) للأستاذ لطفى الخولى
٦٧ — عالم الطير فى مصر ... ... للأستاذ أحمد محمد عبد الخالق

الثمن قرشان فقط

دار القلم بالقاهرة